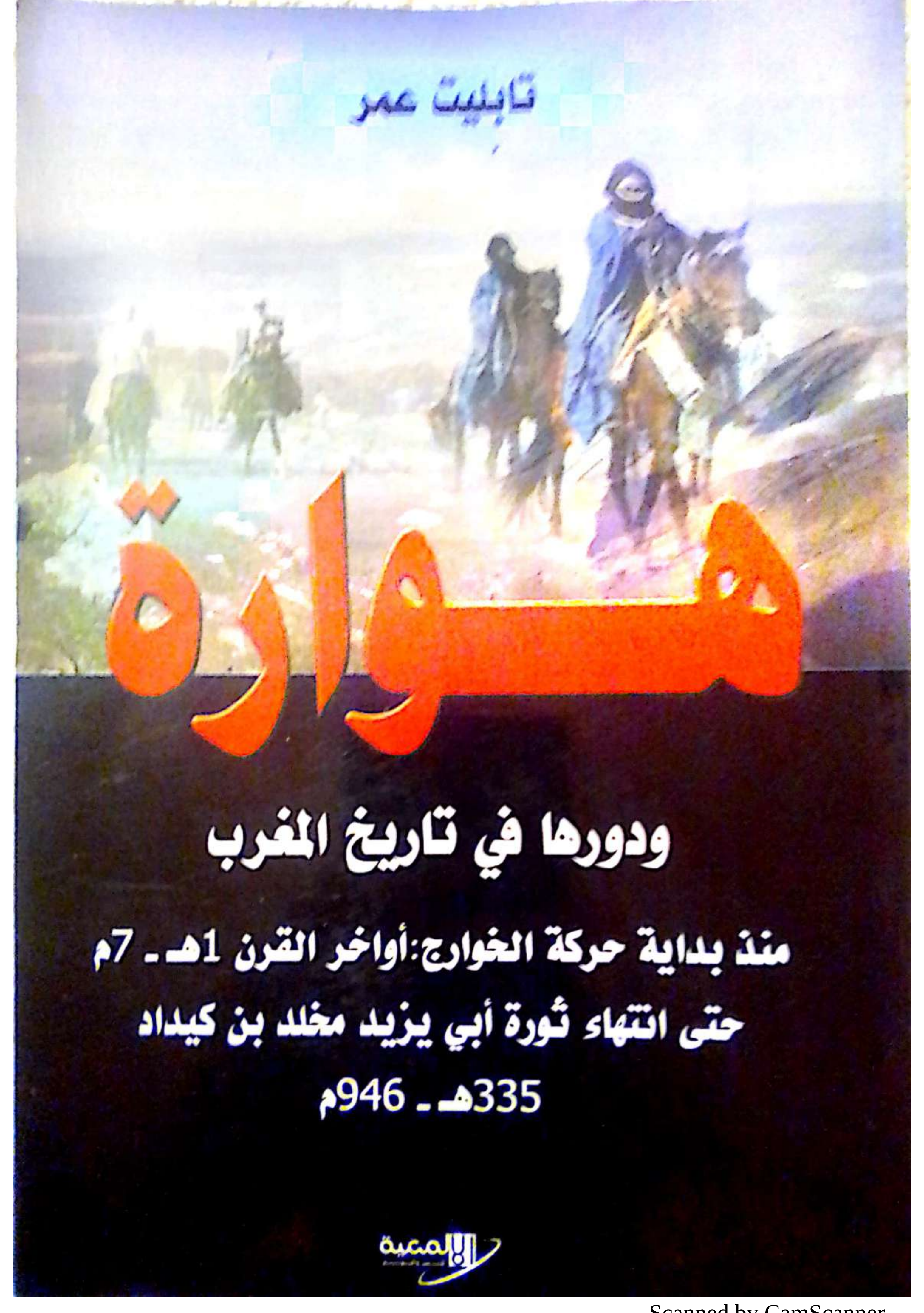

تابليت عمر
هوارة
ودورها في تاريخ المغرب
منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ ـ 7م
حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد
335هـ ـ 946م
الألمعية

تابليت عمر

هـــــوارة

ودورها في تاريخ بلاد المغرب

منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ- 7م

حتى انتهاء ثورة أبي زيد مخلد بن كيدان 335هـ- 946م





ص ب 62 عين الباي قسنطينة 25043 الجزائر
الهاتف / الفاكس 21331675289+
Elalmaia15@gmail.com

الكتاب: **هوارة ودورها في تاريخ بلاد المغرب**
المؤلف: **تابليت عمر**

الناشر : **دار الألمعية للنشر والتوزيع**
التصفيف: قسم التصفيف
الغلاف: **دار الألمعية**
التوزيع: **دار الألمعية**
ردمك: 978-9931-305-36-1
الإيداع القانوني: 2011-5189
الطبعة: **الأولى 2011**

إهداء

- إلى كل من حاول أن يغير ويصلح فوجد نفسه من المقصيين.

- إلى الذي قال: لا للتزوير والمحاباة، فرمي بالقصور والتقصير وكان جزاؤه القهقرى.

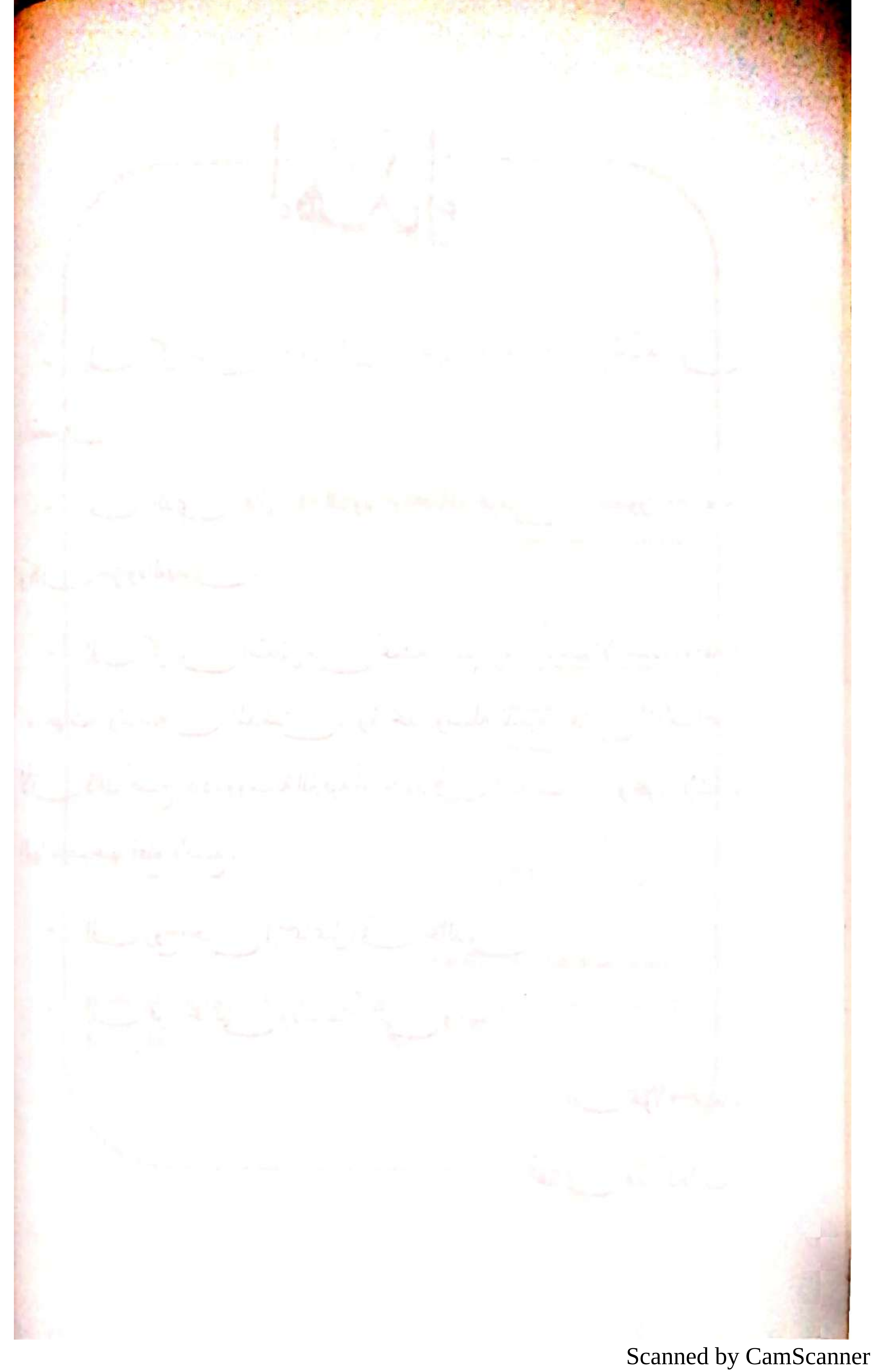
- إلى كل من امتعض من عملية ترميم وإعادة ترميم الأرصفة، وطلاء الواجهات، وتدشين المدشن، ولم يجد وسيلة للتعبير عن الامتعاض، لأن ذلك أصبح عادة ووسيلة للترقية أو الخلود في المنصب... ومجرد الإشارة إليها ينجم عنها قطع الاصبع.

- إلى روح أخي (إسماعيل) في الخالدين.

- إلى أفراد عائلتي ولاسيما أبنائي وأمهم.

إلى هؤلاء جميعا،

أهدي هذا الكتاب.



مقدمـــة

هذا البحث هو في الأصل رسالة جامعية، قدم جزء منها عام 1980م لنيل منهجية البحث في الدراسات العليا بجامعة الجزائر.

أما الجزء الثاني مع الأول فقد أعد لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (نظام قديم) تحت إشراف الدكتور ل.م.

ولم يناقش البحث في حينه لعدة أسباب منها:

1) الانتقال من تيزي وزو القريبة من العاصمة إلى عنابة.

2) الانشغال والارتباط الزائد بالعمل.

وقد ظل المشروع حبيس الدرج، إلى أن تقرر الإفراج عنه، وبعثه في شكل كتيب، يضع لبنه في صرح المعرفة، وكلما ارجوه أن ينال رضا القارئ الكريم.

أما الفضل فيعود إلى مجموعة من الأساتذة أذكر منهم:

- محمد علي دبوز، مؤرخ وادي ميزاب، الذي زودني بتوجيهاته، ونهلت من كتابه: المغرب الكبير.

- عبد المجيد حبة الذي استضافني في بيته(المغير) وفتح لي مكتبته حيث مكثت بها أياما، قارئا ومستنسخا، ومستعيرا للبعض من كتبه ولاسيما كتب الرحلات.

- زهير الزاهري الذي وجهني وزودني ببعض الكتب منها قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور المعروف بمؤرخ المملكة المغربية.

- الدكتور جاجيات الذي لفت انتباهي إلى دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية.

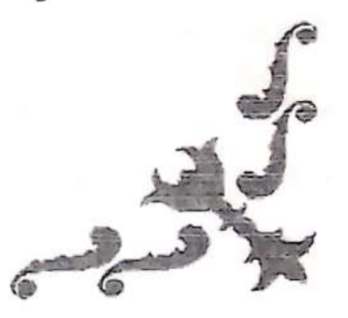
أما ما ينقص هذا العمل :

- تحديد الأماكن لكثرة التنقل بسبب الفتوحات الإسلامية، والحروب المتتالية (حروب الردّة والحركات المذهبية).
- تحديد الإطار الزمني بدقة لتواجدها في منطقتها الأصلية (طرابلس) وانتشارها.
- تحديد إلى أي الفروع تعود تلك التجمعات المنتشرة هنا وهناك.




الفصل الأول

نسب القبيلة ومضاربها

الفصل الأول
نسب القبيلة ومضاربها

تمهيد:

لفظة" بربر" لم يقتصر إطلاقها على سكان المغرب العربي القدماء، بل أطلقت على قوم قبلهم ؛ أطلقت في عهد هومير على الأمم الغريبة عن لغة اليونان، وفي عهد بلتوس على الروم ماعدا سكان روما[1] ، ويحلو للأوروبيين أن يستعملوها لما فيها من معنى الهمجية والبداوة، ويخصوا بها هؤلاء السكان الذين يرفضونها ولا يعترفون إلا بالتسمية التي أطلقوها على أنفسهم وهي "الامازيغ" نسبة إلى جدهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.وقد كانت منازلهم على أيادي الدهر فلسطين.

وبعد أن قتل ملكهم جالوت، رحلوا إلى بلاد المغرب وتناسلوا بها وعمروا المغرب من أدناه إلى أقصاه[2].

والبربر يجمعهم جذمان عظيمان هما: برنس ومادغيس الأبتر.وشعوب البرانس عند النسابين سبعة هي: أزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة (هوارة). وزاد إمام النسّابة وشيخ الجماعة سابق المطماطي: لمطة، وهسكورة، وجزولة.

أما شعوب البتر فهي: أداسة، ونفوسة، وضريسة، وبنو لوا الأكبر، نفزاوة، ولواتة[3]، وقد تفرقت كل قبيلة من هذه القبائل إلى عدد لا يحصى من الفروع، وانتشرت في ربوع المغرب.

وبعد الفتح الإسلامي اختلطت بغيرها من القبائل العربية، ويصعب الآن تحديد أماكنها؛ فالعرب والأمازيغ معا هم أجدادنا، ولا مجال للادعاءات المغرضة التي ترمي الآن إلى تقسيم سكان المغرب العربي عامة والجزائر خاصة إلى بربر وعرب.

نسبها:

هوارة من أكبر هذه القبائل وأعتاها أقبلت على الإسلام واعتنقته على خلاف بقية القبائل الحضرية التي تنتمي إلى فرع البرانس، ثم خاضت حروبا سياسية ومذهبية بعد ذلك، ولعبت بذلك دورا هاما في تاريخ المغرب الإسلامي. غير أن هذه الحروب لم تتمخض عن شيء سوى عن اضعافها وتشتيتها وأصبحت على حد تعبير ابن خلدون "في عداد القبائل الغارمة من كل ناحية". ولاشك أن هذه الأدوار التي لعبتها، والوضعية السياسية والاجتماعية التي أضحت عليها بعد ذلك، وما قام بينها وبين بعض القبائل العربية من تشابه، مثل كريب العربية من بطون همدان والتي تقابل (كريب الهوارية) وذي هرم من هوار من حمير.

كل هذا جعل المؤرخين المشارقة والمغاربة على السواء يختلفون حول نسبها؛ لقد رأى بعضهم أنها من أصل عربي، وهؤلاء بدورهم ينقسمون على أنفسهم ويختلفون حول نسبها العربي؛ فتارة يقولون أنها من أصل يمني حميري، وأخرى أنها من إحدى بطون قضاعة أو من كنده من السكاسك [4] كما رأى البعض الآخر وهم الأكثرية أنها من أصل بربري وأنها كما أسلفنا من فروع البرانس[5].

وهوارة نفسها ترى أنها عربية حميرية أحيانا، وأحيانا أخرى أنها من البربر القدم، كانت منهم ثم فارقت ديارهم وصارت إلى برقة[6].

ومثلما تنكرت لنسبها البربري، تنكرت للسانها البربري وأصبحت أينما وجدت لا تتحدث إلا بالعربية. ولا شك آن هذا يعتبر منها إعجابا برسالة الإسلام وبحاملي هذه الرسالة. وهوارة من القبائل المغربية التي

عملت على نشر اللغة العربية بصعيد مصر أخذتها بافريقية نتيجة للمصاهرة والاختلاط بالعرب الفاتحين ثم نقلتها.

وعن تسميتها بهوارة ينقل إلينا التيجاني في رحلته حكاية مفادها " أن المسور بن يخصب كان ساكنا بالحجاز، فضلت له إبل، فتوجه في طلبها إلى أن بلغ مصر، ودخل بلاد المغرب طالبا لها، فمر بجبال طرابلس، فقال لغلامه : أين نحن من الأرض؟ فقال بأرض إفريقية، فقال :لقد تهورنا"[7] ولاشك أن هذه الرواية كما يقول عنها العلامة ابن خلدون مصنوعة وان أثر الصنعة واضح عليها، ولا حاجة إلى التدليل عليها، وأن ما اتفق عليه المؤرخون، ويتقبله العقل هو أنها سميت كذلك، أي هوارة نسبة إلى هوار أكبر أبناء أوريغ سنا وأشهرهم، وتسمى أحيانا أوريغة نسبة إلى أوريغ جد القبيلة كلها.وموطنها الأول مثل سائر القبائل البربرية الأخرى كما قال المسعودي في كتابه مروج الذهب: "فلسطين من بلاد الشام" وسبب رحيلهم عنها أنه لما قتل داوود عليه السلام ملكهم جالوت (وقد كانوا شيعا لفلسطين على بني إسرائيل) انتقلوا إلى بلاد المغرب فنزلت زناتة ومغيلة وضريسة أرض برقة، ونزلت هوارة بلاد إياس (المدن الثلاثة) أي طرابلس الحالية.[8] وذلك على حد تعبير ابن خلدون من أرض لا يعرف أولها ولا ما قبلها حتى جاء الإسلام.

فروعها:

فروع هوارة كثيرة جدا، منها ما هو من نسل أبناء أوريغ الأربعة (هوار، مقر، قلدن، ملد) ومنها من نسل غيره (عربية، بربرية) اندمجت في هوارة وصارت تعرف بهذا الاسم[9].

فأما البطون المتفرعة من أبناء اوريغ فهي:[10]

1- من ملـد:

مليلة: وهي اكبر بطون القبيلة وأكثرها انتشارا في جميع الجهات التي استوطنتها القبيلة، إما مستقلة بنفسها أو مندمجة مع غيرها من القبائل البربرية والعربية، وإليها تنسب عدة أماكن، كعين مليلة جنوب قسنطينة، ومدينة مليلة المغربية، ومليلي شمال ولاية مازر (صقلية)

سطات: وقد وردت في تاريخ ابن خلدون (وسطط) وفي جمهرة ابن حزمة (ستات)

ورفل: واليها ينسب موضع بطرابلس، ولعل منها ورفلة التي كانت تنتشر بين باغاية ودوفانة وفي ضواحي طبنة[11]

مسراته: واليها تنسب المدينة الشهيرة الطرابلسية ومن آثارها بالمغرب الأوسط غار مسراتة في الجبل المطل على البطحاء.

ونيفن: وقد اعتبرها سابق المطماطي من بطون ملد.

وهذه البطون جميعا تعرف ببني لهانة.

2- من هـــوار:

بنو كهلان: وتشمل البطون التالية:

زكارة: وقد وردت في تاريخ ابن خلدون (زكاوة) واليها ينسب جبل زكار في المغرب الأوسط.

مجريس: نسبة لأمهم (مجريس) وهم سكان زنزور قرب طرابلس.

مسلاته: واليها تنسب جبال مسلاته بطرابلس، وقد كانت موطنا لها.

غريان: وبها سميت قرية واقعة في جنوب مدينة طرابلس.

ورغة: إليها ينسب نهر بشمال المغرب الأقصى ولا تزال منها بقية في جنوب افريقية.

هكارة: سكان جبال الهقار.

هيوارة: وبني كسا ولشوة وورتاكط.

3- من مقـــر:

زمور: ويوجدون في جميع البلاد المغربية، وفي منطقة الاوراس (أبو حمار وبعلى ومروانة) ألقاب زموري وزمورة ولعلها من هذا البطن.

كبا: وقد وردت في جمهرة ابن حزم (كذا) وفي تاريخ ابن خلدون (كياد).

كركودة: وهي من البطون التي زادها سابق المطماطي وأصحابه.

مندامة: واليها ينسب وادي منداس غرب المغرب الأوسط ومنها الشاعر سعيد بن عبد الله المنداسي الشهير.

ورجين: وهي من البطون التي عدها سابق وأصحابه في مقر ومازالوا يعرفون باسمهم الأصلي (بين القالة وعنابة) بني ورجين.

سراي: وكتبت أيضا مسراي ومسرات.

ماواس: أو ماوس.

4 - من قلــدن:

قمصانة وورسطيف (وقد تكون تسمية سطيف نسبة لها) وبيانة أو بياتة وفل، وقد كتبت أيضا بل، وفل أصح لوجود ما يدل عليها من الأسماء مثل آيت وفلة.

أما البطون الأخرى التي اندمجت في هوارة فمنها[12] - بطون أداسة البترية، وقد اندمجت فيها قبل الإسلام وبسبب أن أم أداس تزوجها- "بعد زحيك بن مادغيس الأبتر" أوريغ بن برنس.وتشمل: هراغة، ترهوتة، شتاتة، انداوة، هنزونة، أوطيطة، صنبرة.

أما البطون العربية فقد اندمجت فيها بعد الإسلام وشاركتها في مواطنها ورافقتها في الزحوف.

ومنها في تلول إفريقية:

- بطن من عرب مضر بضواحي باجة.
- بطن من بطون رياح ينتمون إلى عتبة بن مالك.
- بطن من مرداس بني سليم يعرفون ببني حبيب.

وهي مثل هوارة في النشاط الاقتصادي فهم(أهل بقر وشاة وركوب خيل) وفي الوضعية الاجتماعية(عليهم وظائف من المغرم مقررة وبعث من العسكر مفروض يحضر بمعسكر السلطان متى استنفروا لذلك...) [13]

مضاربها:

في الأزمنة القديمة جدا كانت تحتل بلاد أياس(طرابلس الحالية) وغداة الفتح الإسلامي وجدت في المنطقة إلى جانب بعض القبائل البربرية مثل نفوسة وزناتة ومزاتة ولواتة.[14]

وفي العشريات الأخيرة من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي (أثناء الحركات الكبرى). هربت كغيرها من القبائل البربرية وانتشرت في إفريقيا الشمالية.[15] ومع بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تبنت المذهب الخارجي بشكليه الصفري والاباضي (الوهابي والنكاري) وشاركت في جميع ثورات الخوارج منذ انتفاضة الصفريين عكاشة وعبد الواحد (124هـ- 742م) إلى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد(331هـ- 943م) وعلى إثر هذه الثورات حدثت تنقلات كثيرة لبعض فروع هوارة من الشرق إلى الغرب والعكس.[16]

ولا ننسى ما قدمته من خدمة للإسلام، فلقد شاركت إلي جانب طارق بن زياد في فتح الأندلس، ومع أسد بن الفرات في فتح صقلية واستقرت هناك. ومع انتقال الفاطميين إلي مصر انتقلت جموع من هوارة واستقرت أولا في شمال مصر ومنها انتقلت إلي جنوب مصر ثم شمال السودان ولعبت دورا هاما في تاريخ العروبة في وادي النيل وهذه المضارب:

في المغرب الأدنى:

بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وبعد الأحداث التالية لعملية الفتح حدثت تنقلات لأجزاء من هوارة داخل المغرب الأدنى (ليبيا الحالية) وأصبحت تعيش في كل أقاليمه الثلاثة :

1- برقـــة:

كانت من مواطن هوارة، وهي التي شاركت في الفتح الفاطمي لمصر سنة358هـ/969م ووضعت البذور الأولي لهوارة في مصر ما بين الإسكندرية ومصر القديمة.[17] ومازال فرع منها إلي عهد ابن خلدون يعرف ببني جعفر يعيش في برقة، وقد ثار خلاف حول أصلهم فقيل من العرب: تارة من العزة، وأخري من الهيب وثالثة من فزارة، والأصح كما قال ابن خلدون من مسراطة احدي بطون هوارة[18].

ومن مواطنهم ببرقة، زويلة، وتعرف بزويلة بني خطاب انتقلوا إليها بعد سقوط إمامة أبي الخطاب، وكانت عاصمة لهم حتى عرفت بهم، ولما خربت انتقلوا منها إلي فزان[19].

2- طـرابلس:

وتعتبر أقدم موطن لهوارة، وإلي منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ما تزال هوارة في هذه المنطقة، وكانت حدودها وقتئذ تمتد من تاورغا غربا إلي فزان جنوبا وطرابلس غربا[20].وإلي عهد متأخر كانت هوارة تحتل عدة مراكز في موطنها القديم نذكر منها:

- **مسراطة**: بين سرت شرقا وزاوية المحجوب غربا وعلي مسافة يوم إلي الجنوب، وإلي عهد ابن خلدون سكانها من مسراطة الهوارية، وكانوا يمارسون التجارة مع مصر وبلاد الجريد وأرض السود[21].

- **زنزور**: وهي قرية من قرى طرابلس، سكانها من مجريس الهوارية كانت من أملاك أهل مدينة طرابلس، باعوها أثناء فتنة ابن غانية الميورقي حين انقطعت الصلة بينهم وبينها. وقد كان لمجريس بها قوة واشتداد، وما كان أحد يقدر علي دخولها حتى جاءت الحملات العربية التي خرجت من صعيد مصر، وأصبحو بها خدما وعبيدا أشبه بأقنان الأرض في أوروبا خلال العصور الوسطي ينتقلون معها هُم وأولادهم وعيالهم وليس لهم منها إلا النصح في الخدمة[22].

- لبدة: وهي أقدم موطن لهوارة كانت عاصمة لها، تسكنها قبيلة مسلاتة التي لا يزال اسمها يطلق علي جبال مسلاتة في إقليم طرابلس، وقد كانت هذه القبيلة ذات مركز قوي إلي غاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي[23].

- إلى الشرق من أرض هوارة ووسط بلاد مزاتة كانت تعيش قبيلة منداسة الهوارية[24].

- ضواحي طرابلس حيث أشير سنة 681هـ/1282م إلي وجود قبيلة مقر، ومن آثارها وادي مقر في الجنوب الشرقي لزلتن. وكذلك قبيلة مليلة في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وأن كان مقرها غير معروف بالتدقيق[25].

وهناك قبائل أخرى غير مستقرة كانت تنتقل في هذا الإقليم مثل ترهونة وبني غريان وبنو ورفلة وهذه القبيلة الأخرى شكلت في القرن

الثالث الهجري/التاسع الميلادي مع قبيلة مسراتة ومرمزيان الفرع الشرقي لهوارة طرابلس،[26] الذين يسمون لهانة وهم الذين ثاروا ضد الحكم الأغلبي سنة 245هـ/895م. وهوارة طرابلس كانت الدعامة الأساسية للإمامين الاباضيين أبي الخطاب وأبي حاتم، وقد ظلت لمدة طويلة وفية للمذهب الاباضي باستثناء قسم من مليلة وسكان ضواحي كرزة[27].

3- فـزان:

في فزان قامت دولة بربرية اباضية صغيرة من بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إلي نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، هذه الدولة حكمتها أسرة هوارية عرفوا ببني خطاب[28]، وقد استمر حكمهم لها إلي أن قضى عليها قراقوش مملوك تقي الدين بن أخ صلاح الدين الأيوبي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[29].

- قبيلة أخرى هوارية هي بنو كلدن سكنت مدينة فزانية تسمي تمرمة[30].

- زالة غرب أوجلة على بعد 10 مراحل، كانت خلال العصور الوسطى سوقا عامرة ومدخلا للقوافل التجارية إلي ساحل غانا (مملكة الدمدم) سكانها من هوارة[31].

في إفريقيــة:

- ضواحي قابس: تعيش بها قبيلة زنزافة الهوارية وقد ظهرت بهذه المنطقة مع بداية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وكانت على المذهب الاباضي وتابعة للدولة الرستمية[32].

- ضواحي توزر : واحة أخذت تسميتها من سطاط إحدى فروع قبيلة هوارة[33].

- بين قابس وصفاقس فرع من هوارة قدم من طرابلس في وقت يصعب تحديده، وإلي عهد ليون الإفريقي كانت تتحدث اللهجة البربرية التي يتحدث بها سكان جربة[34].

- جزيرة جربة : استقرت بها هوارة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، وكانت على المذهب الاباضي[35].

- بعض فروع هوارة استوطنت في بطن المرج في القطاع الشمالي للساحل التونسي خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي[36].

- سهل القيروان: استوطنته هوارة على فترات متعاقبة، وأقدم فرع منها قدم إلى هذه المنطقة يعود إلى 141هـ/758م، قدم مع عبد الرحمان بن رستم والي إفريقية من قبل الإمام الاباضي أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وقد انضم إليهم سنة 315هـ بنو كملان الهواريين الذين نقلهم أبو القاسم العبيدي من ضواحي المسيلة[37] (غدير وارو). ثم مجموعة ثالثة من بني كملان قدمت من الزاب إثر هزيمة أبي يزيد مخلد بن كيداد واستقرت بالقيروان .

- جبل زغوان: هذه المجموعة وطّنها في هذا الجبل أبو القاسم العبيدي.

- ضواحي باجة: قدمت إليها سنة 124هـ/742م مع القائد الصفري عبد الواحد بن يزيد الهواري، وقد يكون هذا الفرع هو الذي ثار على الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد سنة 268هـ/882م بهذه المنطقة[38].

- شمال باجة: في هذا الاقليم وخلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، يقيم فرع من قبيلة هوارة هي بنو سليمان[39].

- الشمال الغربي للتل الأعلى التونسي: يقيم به وإلى وقت متأخر فرعين من هوارة هما بنو ورغة وبنو وشتاتة[40].

- بين سهل مرماجة (برمجنة حاليا) وبالتحديد على ضفاف وادي سرت، وضواحي تبسة يعيش حوالي القرن 8هـ/14م فرع من هوارة يدعى بني ونيفن، والذي مازال قسم منه يقيم في ضواحي الكاف تحت اسم ونيفة[41].

- ناحية سبيبة (هنشير صبيغة) وحوالي القرن 5هـ/11م يقيم فرع من بني كملان[42].

- بين تبرسق وزغوان: تقيم قبيلة بصوة الهوارية حوالي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي[43].

- سهل أبة: وتقيم به قبيلة قيصر الهوارية والتي ظهرت بهذه المنطقة ابتداء من سنة 624هـ/1227م وامتدت إلى ضواحي الاربس[44].

في المغرب الأوسط:

وصول هوارة إلى المغرب الأوسط يعود إلى فترة مبكرة من الفتح الإسلامي، ولقد استوطنت مناطق واسعة منه، وأهم هذه المناطق:

1- ضواحي تبسة:

وينتسبون إلى قبيلة ونيفن، ورئاستهم لعهد ابن خلدون في أولاد بعّرة بن حناش (ولهذا يقال لهم أحيانا الحنانشة)، وهم على التوالي: أولاد سليم، أولاد زيتون، وأولاد دحمان وكانت رئاستها قبلهم لسارية من بطون ونيفن[45].

ويرى الكعاك أن هذه القبيلة قد اتسعت إلى درجة أن انفصلت عنها بطون هي: النمامشة بضواحي تبسة، والحراكتة بضواحي عين البيضاء، وبطون أخرى تشغل المنطقة الممتدة ما بين عين البيضاء و قالمة[46].

2- الأوراس:

حلت هوارة بالأوراس أيام اشتداد الحرب بين حسان بن النعمان و جيوش الكاهنة، ودخلت في الإسلام مع من به من قبائل زناتة[47]، وشاركت في الجيش الذي أعد لفتح الأندلس وسبب نزوحها إلى هذا الجبل كما قال الجيلالي: هو الاضطراب السياسي الذي عاشته طرابلس وقد انصرفوا لهذا الجبل لرعي الغنم، وسكنوا جباله وسفوحه و ما حولها من المدن والقرى مثل باغاية، وطبنة، وخنشلة، ومنعة، وآريس (وقد تكون قرية بليهود إحدى مراكزها بأريس، نسبة إلى هود بن محكم الهواري) ولمبيز، ونقاوس، وبلّزمة (ما تزال

بها إلى الآن قرية لهوارة تعرف بهذا الاسم، وبها ما يزيد عن ستة آلاف نسمة) وتيمقاد، وتهودة[48].

كانت هوارة أوراس أول من اعتنق المذهب، وقد استمرت عليه إلى أواخر القرن الخامس الهجري بعد انقراض الدولة الرستمية بقرنين[49]. وكانت أحد الملاجئ التي آوت اباضية تيهرت.ولما كانت ثورة أبي يزيد كانت هوارة أوراس عونا له ضد الدولة الفاطمية التي هددها زمنا طويلا، وبعد مقتل أيوب بن يزيد بقيت هوارة أوراس على ثورتها إلى أن جهز لها المعز بن منصور جيشا قويا بقيادة بلكين بن زيزي، فهزم جموعها بسفح غزالة قرب باغاية وشتتها في بلاد الزاب وبلغت فلولها إلى بلاد السودان [50]. وبقى بها عدد قليل وهم إلى عهد ابن خلدون تحت سيادة لواته[51].

3- جبل هوارة:

قبل أن تنتقل إليه كانت مواطنها جنوب تيهرت، وقد لعبت دورا هاما في قيام الدولة الرستمية، وبعد انتقال الحكم إلى عبد الوهاب بن رستم، ساءت العلاقة بينه وبين القبيلة، وأدت إلى رحيل جموع منها عن مضاربهم، ونزلوا بمكان عرف بوادي هوارة على بعد عشر أميال من تيهرت، ومن هناك، ظلوا يغيرون على الإمام عبد الوهاب وأتباعه، الأمر الذي جعله يستنجد بنفوسة وغيرها ويعد جيشا تمكن به من هزيمة هوارة، وفرار معظمها إلى جبل ينجان[52]، وقد اتخذته معقلا وملاذا وكونت به ما يشبه إمارة. وقد حاولت الدولة الرستمية حملها على الانضواء تحت لواء الحكومة المركزية ولكنها لم تفلح، وظلت مستقلة بجبلها وقد تعددت الحروب بينها وبين الدولة الرستمية منذ

انفصالها إلى عهد الإمام أبي اليقظان، وفي عهده اقتحمت تيهرت ونصّبت ابن مسّالة أميرا عليها، وظل يدير شؤون تيهرت في غياب إمامها الشرعي طيلة سبع سنوات، ولم يتمكن أبو اليقظان من دخول تيهرت إلا بعد أن أنجدته نفوسة.[53] وفي أعلى جبل هوارة قلعتهم(تاسقدالت) التي اختطها كبيرهم محمد ابن اسحاق[54]. ويبدو أن الاضطهاد الذي لحق بسكان هذا الجبل من طرف دولة بني عبد الواد، اضطر الكثير منهم إلى الرحيل والهجرة إلى جهات آمنة، ولربما إلى المغرب الأقصى، وخف بذلك كما قال ابن خلدون "ساكنوا هذا الجبل" وقلعتهم الآن تسمى قلعة بني راشد وقد دّكها زلزال العاشر من أكتوبر عام 1980م ومن آثارهم بهذا الجبل غار مسراطة.

4- برج الغدير:

حيث ينبع نهر سهر الذي يشق مدينة المسيلة، وعلى السلسة الجبلية التي تمتد شمال الحضنة وبمكان يسمى غدير وارو (برج الغدير حاليا) جنوب برج بوعريرج سكانه من بني يغمراسن الكملانيين إحدى فروع قبيلة هوارة وقد كانوا إلى سنة 325هـ أقوياء بعددهم البالغ 60 ألف نسمة وخاضعين للدولة الفاطمية، وبعد عودة أبي عبد الله الشيعي من المغرب في السنة نفسها نقلهم بالجملة إلى سهل القيروان، خوفا من أن يثوروا عليه، وأثناء فتح القيروان انضم بنو كملان إلى أبي يزيد وكانوا من أخلص جنوده ضد الدولة الفاطمية فسطا بهم إسماعيل المنصور حتى قطع ذكرهم[55].

5- الهقار:

هم من هكارة أحد فروع القبيلة، وإليهم ينسب هذا الجبل، وصلته هكارة في تاريخ غير معروف بالضبط، واستقرت بجوار لمطة من الملثمين، ويمكن أن يكون لوصولها إلى هذا الإقليم علاقة بالهزيمة التي منيت بها هوارة أوراس على يد الأمير الفاطمي المعز سنة 342هـ وتشتتها إثر هذه الثورة بدليل وجود ثنية بغرب الأوراس يطلق عليها ثنية هكار[56].

ومن مواطنها بالمغرب الأوسط أيضا بجاية وقسنطينة وقد كانت من أهم مواطنها مع كتامة وعجيسة ثم تغيرت أحوالها بعد قدوم بني هلال وأضحت المنطقة ديار للعرب إلا ممتنع الجبال.[57]

- بين القالة وعنابة يعرفون إلى حد الآن ببني ورجين أحد فروع قبيلة هوارة[58].

- سهل منداس على الضفة اليمنى لوادي مينة كانت تسكنه فرع من منداس أحد بطون القبيلة ومنها أخذت هذه التسمية وما تزال قرية تحمل هذا الاسم(منداس) جنوب شرق غليزان[59].

- ناحية الأصنام وشرشال من قبيلة زكارة وإليهم ينسب جبل زكار المعدني[60]، في جبال الونشريس[61]. جبل عجيسة انتقلوا إليه من المسيلة مع بني برزال[62]، ومن آثارها بشمال شرق البلاد جبل هوارة بقالمة كان لهم، وبه قلعتهم التي أصبحت تعرف الآن بقلعة بوصبع على الطريق الرابط بين قالمة وعنابة

- الزاب: استقرت به بعض فروع هوارة حوالي سنة 342هـ على إثر الضغط المسلط من طرف الأمير الفاطمي المعز على هوارة الاباضية بجبل أوراس، وقد ذكرت بهذا الإقليم في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، ولا تزال إلى ذلك التاريخ وفية للمذهب الاباضي، وحسب بعض المصادر فإن بعض عناصرها قد دخلت من الزاب إلى وادي سوف ووادي ريغ[63].

المغرب الأقصى:

لا أحد يستطيع أن يحدد بالضبط تاريخ وصول هوارة إلى هذا البلد، ومع ذلك يمكن - حسب بعض آثارها- أن نحدد وصولها إلى هذا البلد بالقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد انتشرت هوارة في مختلف أنحاء البلد، ولا تزال تعيش بها إلى وقتنا هذا، ومن الجائز جدا أن تكون بذورها الأولى قد نزحت إلى هذا البلد من إفريقيا و المغرب الأوسط رفقة القائد البربري طارق بن زياد[64].

ومواطنها بالمغرب هي:

- سهل تفراطة شرق المغرب الأقصى على الضفة اليمنى لنهر ملويّة العلوي، وعلى ضفته اليسرى على المجرى السفلي.[65]

- الريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي كان يعيش بهذه المنطقة فرع من هوارة يدعي بنو رزين[66].

- بين طنجة وسبتة وفي القرن 5هـ/11م قرية تحمل إسم هوارة[67].

- داخل الريف وفي شرق المجرى العلوي لوادي ورغة كان يقيم فرع من هوارة – ورغة- ومنه أخذ هذا الوادي تسميته[68].

– بجوار قبيلة دسول (أوتسول) ما يزال يعيش فرع من هوارة الحجاز[69].

– مدينة مليلة الشهيرة أخذت تسميتها من أشهر فروع القبيلة: مليلة.

– مدينة زلول في القرن 5هـ/ 11م كان يعيش بها فرع من هوارة يدعى بنو زياد، وغير بعيد منها فرع آخر لهوارة يدعى هوارة الساحل[70].

– مدينة فاس: بهذه المدينة تعيش هوارة مع القبائل البربرية الأخرى التي عمّرت فاس[71].

– بلدة قرب فاس تحمل اسم فرع لهوارة تدعى وشتاتة[72].

– تامسنا غرب المغرب احتلتها هوارة مع زناتة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أثناء الزحف المريني، وإلى عهد ليون الإفريقي كانت هذه الإمارة تضم 260 مقاتل [73].

– على ضفتي المجرى السفلي لوادي سوس عدد معتبر من هوارة يعيش إلى يومنا هذا[74].

– مدينة أغمات جنوب مراكش، إلى عهد الادريسي (549هـ/1154م) سكانها ينتمون إلى قبيلة هوارة وتربطهم مع بلاد السود علاقات تجارية[75].

– سجلماسة: إلى عهد ليون الإفريقي كان يعيش بضواحيها مجموعة من هوارة [76].

الأندلـــس:

فروع من هوارة قطعت وفي وقت مبكر البحر مع طارق بن زياد من المغرب الشمالي و استقرت في نواحي ذات المسالك الوعرة، الأمر الذي مكنهم من أن يتمتعوا باستقلال يكاد يكون تاما تجاه الأمراء الأمويين، وهذه الفروع هي:

– بنو زنون (أصلها بنو ذو النون ومع طول الزمن تغيرت وأصبحت زنون) وهي أسرة هوارية عاشت وسادت في إقليم شنطبرية وقد ثارت عام 158هـ/775م ضد الأمير الأموي عبد الرحمان الأول [77].

– بنو رزين: أسرة هوارية أيضا قدمت من شمال المغرب واحتلت سهلا يسمى سهلة بني رزين شرق شنطبرية، وقد كانت هذه الأسرة خلال القرن الأول من الحكم الأموي مغمورة، وبعد انهيار خلافة قرطبة أي حوالي منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، اكتسبت نوعا من الأهمية وأصبحت تحكم إمارة السهلة [78].

– بنو فرفرين: ولاة مدلين، بنو جهور الرشانيون: بنو القمراطي جيران ابن حزم، ومن آثار هوارة بالأندلس بلدة تسمى ساقية هوارة وتحمل الآن اسم أحد فروع القبيلة وهي مسلاتة [79].

صقليــة:

لا أحد ينكر وجود هوارة في هذه الجزيرة، فلقد شاركت في الغزو الأغلبي (هوارة إفريقة) لهذه الجزيرة عام 212هـ/827م ومكثت بها طويلا، وحتى سنة 592هـ/1196م لا تزال هوارة تعيش في عاصمة الجزيرة بالرم[80]، ومن بين فروع هوارة التي وجدت آثارها في صقلية في القرون الوسطى: مسراتة، مليلة، كركودة، أندرة، وقد ظلت وفية للمذهب الاباضي إلى غاية القرن 6 هـ/12م وأقامت علاقات مذهبية مع إخوانها في إفريقية الشمالية[81].

في مصــر والســودان:

كانت هوارة من القبائل التي انتقلت إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها، وكانت مواطنها لأول مرة بالبحيرة من الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة على شكل قبائل رحالة، ينتقلون في نواحي البحيرة مع من بها من القبائل العربية والبربرية[82]، وظل الأمر على ذلك حتى أيام السلطان الظاهر برقوق، حيث غلبتهم على البحيرة زنارة وخلفاؤها فخرجوا منها إلى صعيد مصر، ونزلوا بالأعمال الاخميمية من جرجا وما حولها[83].

وقد عظم أمرهم فيها واشتد بأسهم، وتشعبت لهم هناك فروع لا سبيل لحصرها[84]، منها بنو محمد، أولاد مأمن، بندر، العرايا، الشلله، أشحوم، أولاد مؤمنين، الروابع البردكية، الروكة، البهاليل، الأصابغة، الدناجلة، المواسية، البلازد، الصوامع، السدادرة، الزيانية، الخيافشة، الطردة، الأهلة، أزلتين، أسلين، بنو

قمير، النبة، التبابعة، الغنائم، فزارة، العبابدة، صاورة، غلبان، حديد، والسبعة[85].

وقد استمرت هذه الفروع في نمومطرد حتى كان لأولاد همام منهم في القرن الثامن عشر شوكة عظيمة في صعيد مصر وشمال السودان، ولا تزال أسر منها إلى القرن العشرين في صعيد مصر تحمل أسماء فروع قبائلها منها قرية أولاد مؤمنين في طما، والدناجلة والبلازد في أبي تيج، والصوامع والغنائم وأشحوم في سوهاج والعبابدة في أسيوط وساحل سيلين[86]، ومن صعيد مصر نزحت طوائف من هوارة إلى أسوان ومنها إلي السودان، وهم في معظمهم بدو رحل، ينتقلون بقطعانهم إلى الغرب ويرعون مع الكبابيش بين وادي الكاب إلى حدود دارفور، ثم يعودون إلى الشرق في فصل الجفاف والأقلية منهم تقيم بالقرب من الابيض في كردفان حول خمى وأم دليكمة[87]، وغيرها وهي من الفرع الذي يعرف بجلابة الهوارة.




الفصل الثاني

أوضاعها




الفصل الثاني
أوضاعها

1- الوضعية السياسية:

كانت هوارة من أكثر القبائل البربرية نشاطا طيلة حكم الوندال وأوائل الحكم البيزنطي، وشكلت مع لواتة ما يشبه مملكة، إلا أن هذه الحالة لم تستمر حتى نهاية العصر البيزنطي، فقد أضعفتها الحروب آخر الأمر وأدركها الإسلام وهي على جانب كبير من الضعف والعياء ولم تبد أية مقاومة [1]. إذ استطاع عمرو بن العاص أن يحرز عليها وعلى بقية القبائل من زواغة ونفوسة، نصراً سريعاً [2]. وظلت لفترة تزيد عن ثلاثين سنة ممراً للجيوش الإسلامية (الطريق الأعظم) ولم يذكر احد من المؤرخين أي نشاط لها ضد المسلمين وبعد إمارة عقبة الثانية بدأت تتحرك ويذكر ابن خلدون أن القبائل البربرية كلها من طرابلس إلى طنجة ارتدت اثني عشرة مرة، ولم يستقر

إسلامها إلا في عهد موسى بن نصير، وفي عهده استقر الإسلام بالمغرب (وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة[3]).

وكان ذلك في نهاية القرن الأول هجري، ومع بداية القرن الثاني اعتنقت هذه القبيلة المذهب الخارجي بشكليه الاباضي والصفري فكانت من أول القبائل التي ثارت في المغربين الأدنى والأوسط فكانت عدة عبد الواحد بن يزيد الهواري في حروبه ضد حنظلة بن صفوان مع عكاشة الفزاري التي انتهت بهزيمتهما وقتلهما سنة 124هـ[4].

وبعدهما بايعت الحارث بن تليد الحضرمي إماما عليها سنة 130 هـ، فاستقلت بطرابلس مدة ثلاث سنوات. إلا أن ولى الأمويين – عبد الرحمن ابن حبيب – استطاع أن يغتال إمامهم الحارث ووزيره عبد الجبار ويقضي على الإمامة سنة 132 هـ[5].

وفي سنة 140 هجري أنشأت إمامة أبى الخطاب وضحت في سبيلها بالدماء الغزيرة، واستقلت لمدة أربع سنوات. وكانت معركة تاورغة التي قتل فيها أبو الخطاب نهاية لهذه الإمامة وكان ذلك سنة 144هـ[6]، ولما قامت الدولة الرستمية كانت من أهم القبائل التي لعبت دورا هاما في حياتها. أما طرابلس فقد ظل تابعا لوالي أفريقيا حتى سنة 196هـ، إذ ثارة على إبراهيم بن الأغلب، وحاصرت طرابلس (وافتتحته وخربته)بزعامة عياض بن وهب فأرسل إليها إبراهيم بن الأغلب ابنه العباس فقاتلها وهزمها وبنى طرابلس ،فاستغاثت بعبد الوهاب بن رستم فزحف إليها من تيهرت ومعه قبائل نفوسة وحاصروا أبا العباس وإثناء حصاره بلغه وفاة أبيه فصالحهم على أن تكون

المدينة داخل السور له،وخارجها إلى سرت لعبد الوهاب بن رستم،وظلت هوارة طرابلس تابعة للدولة الرستمية حتى سقوطها[7].

ولما ثار أبو يزيد النكاري كانت هوارة من اخلص جنوده (وفعلت الأفاعيل) وكان من اشهر بطونها التي لعبت دورا بارزا في تلك الحروب بنوكهلان (ولما هلك أبو يزيد..... سطا إسماعيل المنصور بهم وأثخن فيهم، وانقطع ذكر بني كهلان...)[8]. إن هذا الدور الذي لعبته – مشاركتها في الفتوحات الإسلامية وثورتها على الأمويين والعباسيين ومن بعدهم الفاطميين قد أثرت على وضعيتها السياسية، وأصبحت لذلك (في عداد القبائل الغارمة من كل ناحية...)[9]

2- الوضعية الاقتصادية:

تشير النصوص التاريخية إلى أن اقتصاد القبيلة كان يقوم على نوعين من النشاط:الفلاحة والتجارة.

- **الفلاحة وتربية الحيوانات:**

تعتبر من أهم الموارد الاقتصادية التي اعتمدت عليها القبيلة، سواء قبل الفتح الإسلامي أو بعده، وقد مارست هذه القبيلة الأسلوبين من النشاط معا، وإن كان الاعتماد على أسلوب دون آخر يختلف من منطقة إلى أخرى بحسب الظروف الطبيعية (المناخ وطبيعة الأرض)، فلقد مارست الفلاحة في سهول طرابلس الخصبة، ولا شك أن اهتمامها بها هو الذي دفعها مع غيرها من القبائل البربرية إلى الاستيلاء على المزارع والواحات الجرامانتية عندما مست بيزنطة أراضيها الساحلية وحاصرتها في الدواخل وحرمتها من احد مواردها الاقتصادية[10].

وقد مارست هذا النوع من النشاط الاقتصادي بعد الفتح الإسلامي، إلا أن الاعتماد الكبير كان قائما على تربية الحيوانات وإلى عهد ابن خلدون كانت الفلاحة تكاد تقتصر على مجريس سكان زنزور، بينما كانت باقي القبائل مثل ترهونة و ورفلة تعتمد على تربية الحيوانات[11].وتشتمل الزراعة بزنزور على الأشجار المثمرة بأنواعها المختلفة وأهمها:الزيتون والنخيل والتفاح والرمان والعنب والتين[12]. ولم تنس هذا النشاط في الجهات الكثيرة التي انتشرت بها، فلقد

استقرت جموع منها في المغرب الأوسط بجنوب تيهرت واشتغلت بالزراعة واغتنت (ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة)[13].

وعلى نهر سهر في مدينة الغدير والمسيلة، وكان الإنتاج الزراعي بمختلف أنواعه يزيد على كفايتهم وحاجتهم[14]. أما في مصر فان اهتمامها بالزراعة يرجع إلى نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي وهي الفترة التي أنزلهم فيها الظاهر برقوق بمنطقة الصعيد الأعلى، واهم مزروعاتهم قصب السكر[15]. أما تربية الحيوان فهي أقدم نشاط مارسته القبيلة وأوسعه انتشارا، وتربية الحيوانات تشمل الغنم والجمال والخيول. فالجمل أول منطقة عرفته في المغرب العربي هي عاصمتهم (لبدة) في عهد سبتموس سافاروس وكان وسيلتها في النقل، وقد لعب دورا هاما في اقتصاد القبيلة وفي حياتها السياسية، إذ استخدمته في معركة مشهورة بين قابس وطرابلس[16].

وأهم المناطق التي اشتهرت بتربية الحيوانات ترهونة و ورفلة في طرابلس، وتلول افريقية وشمال السودان، وتبسة والأوراس. وما زالت الحرفة الأساسية لهواوير السودان وتبسة، وحسب الإحصائيات التي تعود إلى أوائل عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر فان منطقة النمامشة كانت تضم سبعة وعشرين ألف (27000) خيمة وتساهم بما يقدر بـ3000 رأس من الغنم كلما توجهت المحلات الفصلية لها.[17]

- **التجـارة:**

يعود اهتمامها بالتجارة واشتغالها بها إلى نهاية القرن الرابع الميلادي، وذلك اثر الحصار الذي شددته عليها بيزنطة في الداخل وحرمانها من الأراضي الساحلية الخصبة، الأمر الذي جعل حياتها الاقتصادية تتدهور، وقد دفعها ذلك هي وغيرها، من قبائل البربر إلى أن تهاجم جرمة وتنتزع منها واحات الجفرة ووادي الشاطئ وزويلة وتستولي على الطرق التجارية عبر الصحراء[18].ومنذ تلك الفترة بدأت في ممارسة التجارة باستعمال الجمل لنقل البضائع وكانت قوافلها تسلك طرقا تجارية معروفة آنذاك، تمتد من الساحل إلى بلاد السودان عبر جرمة وكانت مدينة الهقار قاعدة تجارية لها[19].أما في الفترة التي تلت الفتوحات الإسلامية فلا شك أن نفوذها قد تقلص نتيجة للأوضاع السياسية التي عاشتها، ولم تمارس هذا اللون من النشاط إلا عند قيام الدولة الرستمية، وكانت من أكبر قبائل الدولة الرستمية التي تولت التجارة إلى السودان، واستوت في ذلك هوارة طرابلس وهوارة تيهرت وهوارة جبال الأوراس[20]. ورغم أن التجارة في ذلك العهد كانت حرة، فإن الدولة الرستيمة كانت قد أحاطتها بالاهتمام الكبير إذ كانت تمهد لهم الطرق وتقيم لهم الرباطات في مراحلهم وتحفر لهم الآبار وتقطع بهم المراحل الخطيرة في الصحراء الكبرى التي يقطعونها[21].وكانت البضائع التي تنقلها إلى بلاد السودان تتكون من المنسوجات بأنواعها، والملح،والافاويه والعطور،والبخور،والأدوية المركبة، وأواني الزجاج، والفخار، والنحاس، والحلي الذهبية والفضية،والمصنوعات الحديدية، وأنواع الصبغة وغيرها.وكانت وارداتها من السودان: الذهب الخام والعاج، وريش النعام، وجلود

الحيوانات[22]. أما في الفترة التالية لسقوط الدولة الرستمية فإن النصوص التاريخية لا تتحدث عن ممارسة هوارة للتجارة بنفس الكيفية وذلك نتيجة للظروف التي ألمت بها في المغربين الأدنى والأوسط بصفة خاصة، اقتصرت بعد ذلك على هوارة المغرب الأقصى التي ازدهرت تجارتها في عهد المرابطين، وكانت في أحوالها وبضائعها في تلك الفترة شبيهة بأحوالها وبضائعها أيام الدولة الرستمية، وكانت في يسر من العيش. وفي هذا النحو يقول الإدريسي: (وهوارة أغنياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال... وما منهم من يسّفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم ألمائه جمل، والسبعون، والثمانون جملا كلها موقرة.ولم يكن في دولة الملثم- في القرن الخامس والسادس الهجري- أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا، وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم[23].

3. الوضعيـــة الاجتماعية:

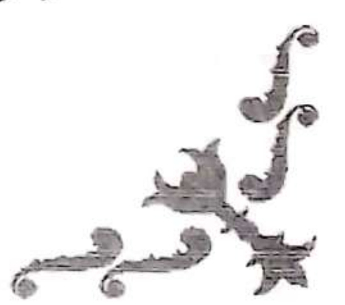
هوارة من أشهر قبائل البربر، وأسبقها إلى اعتناق الإسلام والمشاركة في نشره وكانت محل إعجاب العرب الفاتحين، ولهذا لا عجب إذا حاول بعض المؤرخين العرب إلحاقها بالنسب العربي، إلا أنه بعد أن أفنتهم الحروب العديدة التي خاضوها ضد المسلمين (حروب الردة) وكخوارج ضد الأمويين والعباسيين والفاطميين في المغربين الأدنى و الأوسط وتفرقهم، فإن مركزهم الاجتماعي قد تغير، وكان ذلك من أسباب تنكرهم لنسبهم البربري.

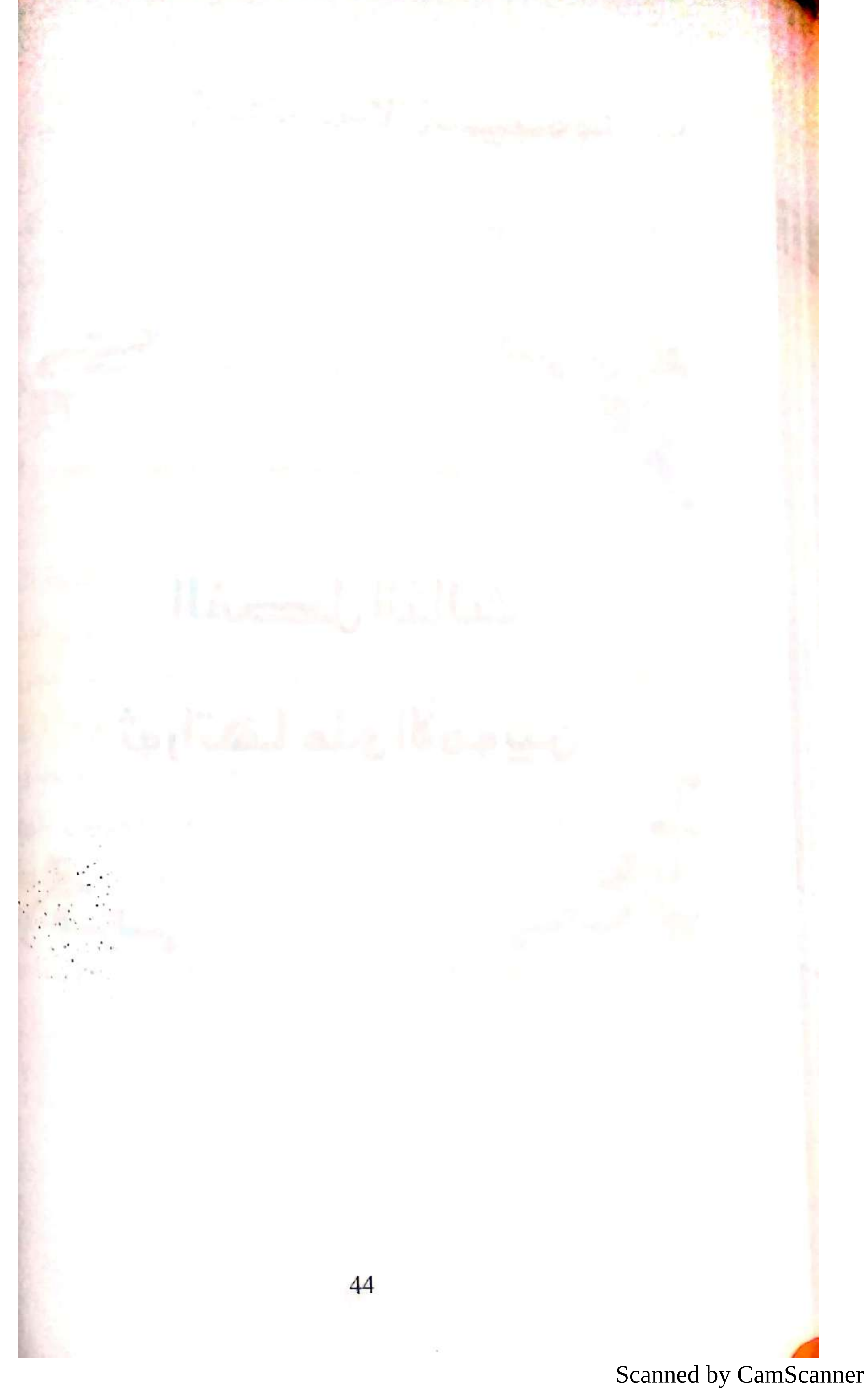
ويلخص لنا ابن خلدون وضعيتهم هذه في قوله: (ثم جرت الدول عليهم أذيالها وأناخت بكلاكلها وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة في كل ناحية)[24] وأكثر من هذا ينقله لنا التيجاني عن مجريس سكان زنزور تحت سيطرة المراغمة من الجواري في قوله: (...وقد تقاسمهم المراغمة من الجواري كل على حسب رتبته، واتخذوهم خدما لهم، وكانوا يتبايعونهم، فيباع الواحد من مجريس بأرضه ونسائه وأولاده بما يتفق عليه البائع والمشتري، ويكون المجريسي وأولاده خدما في أرضهم يزرعونها ويعطون الغلة للذي اشتراهم وهو ينفق عليهم كما ينفق على الخدم، وإذا لم ينصحوا في العمل باعهم لغيره، ....)[25].




الفصل الثالث

ثوراتها على الأمويّين



الفصل الثالث
ثوراتها على الأمويين

تمهيد:

إن الثورات التي قامت في بلاد المغرب، مع أوائل القرن الثاني الهجري، واستمرت حتى سقوط الدولة الرستمية، وقيام الدولة العُبيدية، مرتبطة أساسا باعتناق قبائلها لمذهب الخوارج، هذا المذهب الذي يعود الفضل في نشره ببلاد المغرب إلى حركة الدعاة، وعلى رأسهم سلمة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس اللذان وصلا إلى المغرب أوائل القرن الثاني الهجري،وقد بلغ نشاطهما وحماسهما ورغبتهما في نشر هذا المذهب حد المغامرة(وددت لو يظهر هذا الأمر ولا أبالي بعد هذا أن تضرب عنقي) وقد كان من نتائج هذا النشاط أن انتشر مذهبهما وتغلغل بين القبائل البربرية ولا سيما منها هوارة، زناته، ونقوسة، ومطغرة، ونفزاوة وغيرها.ومن نتائج انتشار هذا المذهب ببلاد المغرب، تمكين رجاله من فهم الإسلام على حقيقته

وعلى هذا فإن ثوراتهم بعد ذلك [إنما كانت رد فعل للانحراف (الذي أضحى عليه ولاة بني أمية) ومحاولة جادة لتصحيح بعض أوضاع المسلمين الشاذة والعودة بالدين إلى بساطته وروحه الأولى][1]. وقد كانت ثورة ميسرة المطغري في المغرب الأقصى بداية لهذه الثورات، وبعد نجاحها هناك امتدت لتشمل إفريقية والمغرب الأدنى، وكانت الزعامة فيها خصوصا مع العهد الأموي، دائما لقبيلة هوارة.

1ـ ثـــــورة إفريقيـــــة:

لقد انتشر المذهب الصفري في شمال وجنوب إفريقية، وأصبحت هذه المناطق معبأة وشديدة الحنق والغضب على ولاة بني أمية، شأنها في ذلك شأن صفرية المغرب الأقصى، إلا أن وجود مقر الإمارة بإفريقية ووقوعها تحت الإدارة المباشرة لواليها عبد الله بن الحبحاب، جعلها تتردد في إعلان ثورتها.

وبعد نجاح ثورة المغرب الأقصى وخروج والي إفريقية الجديد، كلثوم بن عياض القشيري من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، لنجدة الموقف هناك، انتهزت صفرية أفريقية هذه الفرصة الثمينة وثارت ثورتها العارمة سنة 123هـ. وقد تزعمت هذه الثورة قبيلة هوارة [2]، ومن حالفها من القبائل البربرية كزناتة، ونفزاوة.

بدايــة الثورة:

بعد خروج كلثوم بن عياض القشيري بجيوشه الجرارة من إفريقية لمواجهة صفرية المغرب الأقصى، ثار عكاشة بضواحي قابس، علي مسلمة بن سوادة القرشي متزعما بربر هوارة، وأرسل أخاه إلى صبره ليستمد العون من زناتة وغيرها من البربر هناك. فتّكون له منها جيش كبير هجم به على مدينة صبرة، وكان بها حبيب بن ميمون(عامل كلثوم) فحاصر سوقها ودارة الإمارة بها[3]. وكان من المتوقع بعد حصار صبرة أن يواصل زحفه إلى إفريقية ليشارك أخاه عكاشة في حصار القيروان، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، لقد بلغ الخبر صفوان بن مالك (عامل كلثوم على طرابلس) فهب لإنقاذ الموقف، فتمكن من هزيمة أخي عكاشة وقتل أصحابه من زناتة وهوارة وغيرهم، وحال بذلك دون انضمام صفرية زناتة إلى صفرية هوارة بقيادة عكاشة لمحاصرة القيروان[4].

كان كلثوم بن عياض قبل أن يسير إلى المغرب الأقصى يتوقع ثورة إفريقية، لذلك ولى على إدارة القيروان عبد الرحمان بن عقبة الغفاري، وعلى حربها مسلمة بن سوادة القرشي وقد تشجع مسلمة بعد حصار صبرة، فخرج في أهل القيروان لملاقاة عكاشة بن أيوب بقابس، وكان عكاشة قد تقوى جمعه، فاستعد للمعركة، وقد التقى الفريقان، ووقعت بينهما حرب هزم فيها مسلمة بن سوادة وقتل جميع من خرج معه من أصحابه، وفر إلى القيروان، وتحصن بها، وكان ذلك سببا في ثورة جنده عليه وعزله من قبل عبد الرحمان بن عقبة الغفاري وتعيين بدله على رأس الجيش سعيد بن بجرة الغساني[5].

وكان كلثوم بن عياض حين صعب عليه الموقف في بالمغرب الأقصى، كتب إلى عامله على طرابلس، صفوان بن أبي مالك، يطلب نجدته، فخرج إليه هذا الأخير، بأهل طرابلس، وعند وصوله إلى قابس، بلغته أخبار هزيمة كلثوم، وتفرق جيوشه، فعاد إلى طرابلس[6]. وقد شجع هذا الزحف سعيد بن بجرة الغساني ومن تحصن معه من أصحاب مسلمة بن سوادة بالقيروان، فخرج لملاقاة عكاشة الذي كان يرابط بقابس، ولكن عكاشة فوت عليه الفرصة، إذ علم أنه لا طاقة له لمواجهة جيوش الأمويين وجها لوجه، فخرج إلى مكان على أثني عشر ميلا من قابس يدعى الحمه حيث الجبال والغابات، ليشن ما يسمى بحرب العصابات[7].

وصل سعيد بن بجرة الغساني قابس، فوجد صفوان بن أبي مالك قد عاد إلى طرابلس، وعكاشة قد تنحى عن قابس قليلا، فبات في خوف شديد من هجوم عكاشة عليه وهو في طريق العودة إلى القيروان، وقد اضطر لذلك أن يتحصن بمدينة قابس، وظل محاصرا بها، حتى انجده عبد الرحمن بن عقبة بجيش سار به هو نفسه، فالتقيا بعكاشة بين قابس والقيران فوقعت بينهم حرب عنيفة، انتصر فيه جيش عبد الرحمان بن عقبة، وانهزم عكاشة وقتل جميع من معه من أصحابه، فاعتصم بالجبال والغابات ليستعد لجولة أخرى[8].

ولاية حنظلة بن صفوان ومهمة القضاء على ثورة إفريقية:

جاء حنظلة بن صفوان، واليا على إفريقية، وهو مصمم على إنهاء ثورة إفريقية مهما كلفه ذلك من ثمن، وفور وصوله أرسل إلى عكاشة- الذي جمع قوات جديدة من قابس، واستعد لجولة أخرى- حملة بقيادة عبد الرحمان بن عقبة الغفاري، فالتقيا بضواحي قابس، فوقعت حرب عنيفة بينهما انتصر فيها عبد الرحمن بن عقبة وهزم عكاشة مرة أخرى، وقد حاول أن يعيد الكرّة بعد هذه الهزيمة مرتين، إلا أن تصميم حنظلة على إنهاء الثورة وإعداده لها عدتها، حالت دون إحراز عكاشة على أي نصر يذكر[9].

استعانة عكاشة بعبد الواحد:

بعد هذه الهزائم المتوالية، علم عكاشة أنه لا يستطيع التغلب على عبد الرحمان بن عقبة ومواجهة جيوشه وحده، فاتصل بعبد الواحد بن يزيد الهواري، فاستنجد به ودعاه إلى الانضمام إليه، فتوجه إليه عبد الواحد في جيش من الصفرية، فالتقيا بعبد الرحمن بن عقبة الغفاري، فهزماه وقتلاه ومن معه من أصحابه وكان ذلك سنة 124هـ [10].

استنجاد عبد الواحد بصفرية المغرب الأوسط والأقصى:

لم تغر هذه الانتصارات المؤقتة، القائدين البربريين، لأنهما يدركان جيدا قوة حنظلة وإصراره العجيب على المحافظة على إفريقية والقضاء على ثوراتها، إذ علما أنهما لا يستطيعان الصمود أمامه إلا بجيوش جرارة، فعزما على التوجه إلى المغرب الأوسط للاستنجاد بصفريتهما وعبثاً حاول حنظلة إفساد جهودهما في لّم شمل الصفرية هناك، فلقد بعث برسالة إلى صفرية المغرب الأقصى و الأوسط، يأمرهم بالتزام الطاعة، ويثني عزمهم عن مؤازرة عكاشة وعبد الواحد[11].

انضمت طوائف كبيرة من الصفرية اليهما من المغرب الأوسط، ومعها أميرها أبو قره اليفرني الزناتي، ومن المغرب الأقصى، فتقوى جيشهما، وسارا به إلى القيروان[12].

زحف عكاشة وعبد الواحد إلى حنظلة:

سار عبد الواحد وعكاشة في جيشين كبيرين، فلما وصلا الزاب، اتفقا على خطة عسكرية محكمة للغاية، تقضي بتطويق حنظلة في القيروان، وعلى هذا الأساس أخذ كل منهما طريقه الخاص.فبينما سلك عكاشة طريقا سهلا شمال الأوراس يمر بمجانة، سلك عبد الواحد طريقا جبليا يمر بقسنطينة فباجه ليحتل شمال إفريقية، ثم يزحف جنوبا ليلتقي بجيوش عكاشة لمحاصرة القيروان[13].

إنها خطة محكمة تدل على الدهاء وبعد النظر، إلا أن القائدين الصفريين لم يلتزما بما اتفقا عليه في الزاب، فهب كل منهما مسرعا

إلى القيروان، ومن جهته رسم حنظلة خطته على أساس إحباط مساعي الرجلين في التعاون بينهما، فهب مسرعا للقاء كل منهما على إنفراد[14].

وقعة القرن:

تقدم عكاشة بجيوشه حتى نزل بالقرن قريبا من القيروان، ويذكر دبوز أن ما جعل عكاشة، يسبق زميله إلى القيروان هو ما يلاقيه عبد الواحد وهو في طريقه إلى شمال تونس من إقبال البربر عليه، وتعظيمهم له، وأن عبد الواحد إذا احتل معه القيروان، سينسب الفضل في ذلك إليه.لذلك سولت له نفسه أن يسبق عبد الواحد ويحوز شرف القضاء على الأمويين، فيبايعه البربر، ولا يكون لعبد الواحد إلا الرضوخ أمام الأمر الواقع[15].

وأرى أن اعتزاز كل منهما بقوته التي جمعها، هي التي جعلتهما يسرعان إلى القيروان، وأن الطريق الذي سلكه عكاشة كما تقدم، كان سببا في وصوله إلى القيروان قبل عبد الواحد، وقد كان عليه أن ينتظر عبد الواحد للإطباق على القيروان، ولكن لم يفعل، ويظهر أن حنظلة لم يمهله، فقد أعد كل ما استطاع من جند وسلاح، وانفق في ذلك أموالا كثيرة فسار إلى عكاشة بالقرن، فالتقى الفريقان، ووقعت بينهما معركة كبيرة سقط فيها قتلى كثيرون من كلا الطرفين، فانهزم عكاشة، وحاول الفرار، لكن حنظلة أرسل وراءه من أتى به فقتله، ففرح بهذا الظفر فرحا لا مثيل له[16].

زحف عبد الواحد ومعركة باجة:

بعد هزيمة عكاشة، أرسل حنظلة بن صفوان قوة كبيرة من جيشه، بلغ عددها أربعين ألفا إلى عبد الواحد لتحول بينه وبين احتلال شمال إفريقية، ولكن عبد الواحد كان قد عزز جنده بمن انضم إليه وهو في طريقه إلى القيروان، وما أن وصل باجة حتى وافته بها جيوش حنظلة التي أرسلها إليه لتمنعه من احتلال شمال إفريقية، وتعرقله عن السير إلى القيروان[17]. فوقعت بينهما معركة دامت كما تذكر بعض النصوص التاريخية شهرا، انتهت بانتصار عبد الواحد وهزيمة جيوش حنظلة، وقتل ما يناهز عشرين ألفا[18].وبهزيمة باجة أصبح الموقف بالنسبة لحنظلة خطيرا للغاية، لقد بات مؤكدا لديه أنه بعد هذه الهزيمة سوف لا تتوقف جيوش عبد الواحد عند باجة، بل ستسير إلى القيروان لتحتله، ويقضي بذلك على الدولة الأموية في المغرب، لذلك عول على أن يستميت في الدفاع عن القيروان مهما كلفه ذلك من ثمن.

احتلال تونس ومبايعة عبد الواحد بالإمامة:

بعد هزيمة جيوش حنظلة في باجة، قصد عبد الواحد بن يزيد الهواري، مدينة تونس فاحتلها[19]. وعظم بذلك مركز عبد الواحد وتوافدت عليه جموع كبيرة من البربر فبايعوه إماما عليهم[20].يقودهم في ثورتهم، فسار بهذه القوة جنوبا، يريد القيروان.

وقعة الأصنام:

نزل عبد الواحد بمكان يعرف بالأصنام على بعد ثلاثة أميال من القيروان، قال ابن عبد الحكم (فكتب إلى حنظلة أن يخلي له القيروان ومن فيه فاسقط في أيديهم، وظنوا أنهم سيُسبون حتى أن كان حنظلة ليبعث الرسول منهم ليأتيه بخبر عبد الواحد، فما يخرج إلى مسيرة ثلاثة أميال إلا بخمسين دينارا)[21].أما حنظلة فقد غلق أبواب القيروان، وشدد الحراسة عليها "فأخرج جميع ما في الخزائن من السلاح، ونادى في الناس، فكان يعطي لكل منهم درعا وخمسين دينارا، فلم يزل يفعل ذلك حتى كثر عليه الناس، فرد العطاء إلى أربعين ثم إلى ثلاثين"[22].

زيادة عن هذا الاستعداد المادي، فقد أعد حنظلة جميع من في القيروان نفسيا، حيث أذكى فيهم روح الحماس والتضحية، لقتال الفئة الخارجة، وقد بلغ من شدة الحماس الذي زرعه في نفوس الناس، أن كسّر المحاربون أجفان سيوفهم، قال النويري: "وكسّر جنود حنظلة أجفان سيوفهم، والتقوا واقتتلوا ولزم الرجال الأرض، وجثوا على الركب، فانكسرت ميسرة حنظلة وميسرة عبد الواحد، ثم كرّت ميسرة حنظلة على ميمنة عبد الواحد، واشتد القتال وصمم جنود حنظلة على النصر فكان لهم، فانهزم جيش عبد الواحد، أما هو فقاتل حتى قتل في المعركة، ففرح حنظلة بالظفر..وخر لله ساجدا لما أوتى برأس عبد الواحد فوضع أمامه"[23].

وفي الحال أرسل الخبر إلى هشام بن عبد الملك، يعلمه بالظفر الكبير، في أكبر معركة خاضها المسلمون، وعلى شخص عنيد هو عبد الواحد.وكانت هذه المعركة مع عبد الواحد، ومعركة القرن مع

عكاشة من أكبر المعارك التي خاضها الأمويون في المغرب، وقد بلغ عدد القتلى فيها حسب ما تشير النصوص التاريخية 180 ألف قتيل وعنهما قال الليث بن سعد "ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام"[24].

لم تقم للصفرية بعد هذه الهزائم قائمة في إفريقية، فلقد لجأ بعض قادتهم إلى قبيلة برغواطة في منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى، مثل طريف بن مالك، كما لجأ فريق أخر إلى الصحراء، وعمل على نشر دعوته في منطقة نفزاوة، وقد أثمرت هذه الدعوة، حيث تمكنت ورفجومة وهي إحدى بطون نفزة من السيطرة على القيروان فترة استُحلت خلالها فيها المحارم، وهتكت الأعراض، وتدنيس المقدسات الدينية، فكان لذلك زحف أبي الخطاب على القيروان وتحريره لها[25].

2ـ ثـورة المغرب الأدنى:

غلب المذهب الاباضي على بلاد المغرب الأدنى، فاعتنقته قبائله، وخاصة نفوسة وهوارة هاتان القبيلتان اللتان كانتا تقيمان حول طرابلس.واعتناقهما لهذا المذهب جاء متأخرا نسبيا ولهذا فإنه في الوقت الذي يخوض فيه الخوارج الصفرية معارك عنيفة ضد المسلمين في المغرب الأقصى وإفريقية، كان المغرب الأدنى ساكنا هادئا.يعمل في صمت من أجل نشر المذهب الاباضي ولم يخرج اباضيته عن ذلك، إلا مع أواخر العشرينات من القرن الثاني الهجري، أي في الوقت الذي نجحت فيه الحركة الصفرية في المغرب الأقصى، واستولى عبد الرحمن بن حبيب على إفريقية.

إذن لقد أغرى هذا الانتصار اباضية المغرب الأدنى، فثاروا على ولاة بني أمية قبل أن يتهيوا لذلك، ولهذا فإن هذه الثورات كما سيأتي الحديث عنها، لم تسفر عن شيء سوى عن إضعاف الحركة وتأجيل ظهور الاباضية على المسرح السياسي في بلاد المغرب، أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب سنة 140هـ(757م). وقد كانت الزعامة في كل الثورات التي خاضها الاباضية لهوارة، فقد تصدرتها دون منازع من البداية حتى النهاية.[26] فحركة عبد الله بن مسعود التجيبي سنة 126هـ (744م) وثورة الحارث وعبد الجبار التي استمرت حتى عام 131هـ (749م) كانتا حكرا على اباضية هوارة في أحواز طرابلس.

بينما تزعمت نفوسة الحركة التالية بزعامة إسماعيل بن زياد النفوسي سنة 132هـ، ولا نجد لزناتة ذكرا إلا في حركة أبي الخطاب المعافري سنة 146هـ (757م) وهي حركة كانت هوارة مركز ثقلها،

بينما لعبت زناتة فيها دورا غير مشرف.وثورة الاباضية العظمى التي قام بها أبو حاتم الملزوزي، كانت ثورة هوارة أيضا ، فكان أبو حاتم نفسه من مليلة، وهي بطن من بطونها، وظلت هوارة وحدها قائدة للحركات الاباضية التي قامت في سنتي 156هـ(773م) و180هـ (696م) في المغرب الأدنى(27). والذي يهمنا في هذا الفصل هو تلك الثورات التي خاضها الاباضية ضد ولادة بني أمية وهذه الثورات ثلاث هي:

- ثـورة 126هـ (744م)

كانت هذه الثورة كما سبق القول من نصيب قبيلة هوارة، فلقد بايعت أحد زعماء المذهب ويدعى عبد الله بن مسعود التجيبي، فبدأ نشاطه كإمام دفاع، وقد سمع الياس بن حبيب (والي عبد الرحمان بن حبيب) بنشاطه، فألقى عليه القبض، وضرب عنقه، وبذلك آخمدت هذه الثورة وبكل سهوله.وقد استاء أتباع التجيبي من هوارة وغيرهم لهذا العمل، وطالبوا عبد الرحمان بن حبيب بقتل أخيه الياس، قصاصا لعبد الله بن مسعود التجيبي، لكنه آبى عن ذلك واكتفى بأن أقال أخاه وأبعده عن شؤون طرابلس.وولى مكانه حميد بن عبد الله العكي(28).

إن هذا العمل لم يرض الاباضية، ولم يهّدئ من ثورة نفوسهم وأخذوا يعدون للثورة والانتقام من الياس أخي عبد الرحمان.

- ثـــورة 130هـ

كانت أيضا من نصيب قبيلة هوارة، فلقد أجمعت على مبايعة اثنين من زعمائها وهما الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي، الأول إماما، والثاني قاضيا ومشيرا، وقادا، ثورتهما ضد ولاة بني أمية من الفهريين .وكانت بداية هذه الثورة ، حصار والي طرابلس حميد ابن عبد الله العكي في إحدى قرى طرابلس، ولقد طال أمد الحصار، ووقع الوباء في أصحاب حميد فطلبوا الأمان من المحاصرين ، فأمنوهم ، فلما خرجوا أخذ عبد الجبار بن قيس المرادي، أحد أتباع حميد ويدعى نصير بن راشد فقتله في عبد الله بن مسعود التجيبي[29]. وكان حميد بن عبد الله العكي، حين خرج لقتال عبد الجبار، قد أناب عنه في القيام بشؤون طرابلس بكر بن عيسى.

وبعد الذي حصل لحميد العكي خرج إلى المحاربين يدعوهم إلى التفاوض وإقامة صلح بينهما، لكنهم أبوا فقتلوه وظلوا على ثورتهم إلى أن استولوا- بقيادة عبد الجبار- على كل البلاد، ماعدا المدينة داخل السور[30].

أما عامل عبد الرحمان بن حبيب – حميد بن عبد لله العكي- فقد ألقى القبض عليه وسجن، ثم أطلق سراحه، وطرد من المنطقة، وعّين عبد الرحمان بدله يزيد بن صفوان العافري[31].

وقد فشل عبد الرحمان بن حبيب في استرداد طرابلس، ولجأ إلى حيلة، حيث استمال أحد شيوخ هوارة، ويدعى مجاهد بن مسلم الهواري، فأرسله إلى هوارة ليرّدها عن عزمها ويقطعها عن عبد الجبار

الحضمري، فأقام بينها أشهرا دون جدوى، فقد طردته هوارة، ورجع إلى يزيد بن صفوان العافري بطرابلس[32].

ولما لم يجد ذلك نفعا أعد عبد الرحمن بن حبيب حملة تحت أبرع قائد له وهو محمد ابن مفروق، وأرسلها إلى طرابلس، وكتب إلى عامله، يزيد بن صفوان العافري، أن يخرج معه لقتال الثائرين، فالتق المتحاربون بأرض هوارة ، ودارت الدائرة على جيوش عبد الرحمان، فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق ، ولاذ مجاهد بن مسلم بالفرار[33].

أما عبد الرحمان بن حبيب الذي كان يترقب الأحداث، من ضواحي قابس، فبعد أن حلت الهزيمة بجيشه، وقتل قائده محمد بن مفروق، وواليه على طرابلس، يزيد بن صفوان العافري، قفل راجعا إلى القيروان، وأعد حملة أخرى، أرسلها تحت قيادة عمرو بن عثمان، فزحف بها إلى عبد الجبار والحارث، فلقيهما في أرض زناتة، فدارت الدائرة مرة أخرى على جيش عبد الرحمان، فانهزم عمرو بن عثمان وأصحابه، واستولى الحارث وعبد الجبار على طرابلس كلها[34].

أما عمرو بن عثمان فقد توجه إلى دغوغا ومعه مجاهد بن مسلم الهواري، وفي اثره جيوش الحارث التي اضطرته إلى التوجه منها إلى الصحراء، وهناك أدركته، وأرغمته ثانية على التقدم نحو سرت، حيث دارت الدائرة على جيشه، فقتل منها جماعة وأسرت أخرى، ونجا هو على فرسه جريحا[35].

وبعد هذه الهزائم المتوالية عزم عبد الرحمان على الخروج بنفسه وقاد جيشا لاسترداد طرابلس، وصل به حتى قابس، وهناك علم بتآمر

القيروانيين على خلعه، فهب مسرعا عائدا إليها وفي هذه الظروف الصعبة حدث حادث مفاجئ انتهى إلى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة 131هـ(749م) كفى ابن حبيب مؤنة قتالهما[36].

وتختلف المصادر التاريخية حول حقيقة الحادث وأسبابه، فترى بعض المصادر، وخصوصا الاباضية منها، بأن مقتل الإمامين إنما تم بدسيسة من عبد الرحمان بن حبيب، الذي بعث جماعة من أصحابه، فاغتالوا الإمامين، وأنه بعد ذلك دس جماعة أخرى لتقتنع الاباضية بأن الإمامين، إنما اختلفا حول مسألة فقهية، فاحتكما إلى السيف، وقتل كل منهما صاحبه.بينما ترى المصادر الأخرى أن الإمامين اختلفا حول مسألة فقهية فاحتكما إلى السيف فقتل كل منهما صاحبه.

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الحادث خلق مسألة كلامية دامت فترة طويلة، أحدثت الشقاق في صفوف الاباضية، فأمسوا على غير الاتحاد والقوة التي كانوا عليها، ولم يكفّوا عن ذكرها إلا عندما تولى أبو الخطاب إمامتهم سنة 140هـ.

وبعد مقتل الحارث وعبد الجبار بايعت نفوسه إسماعيل بن زياد النفوسي إماما عليها، لكن عبد الرحمان بن حبيب عاجله فقضى عليه وعلى ثورته في مهدها[37].

لم يقض على ثورات الاباضية إلا مؤقتا، ذلك إنه بعد الذي حل بهم ، انصرفوا إلى العمل السري يعدون للثورة ولا شك أن ذلك هو ما دفع برؤساء المذهب منهم إلى الرحيل إلى البصرة للاسترشاد بمشايخ المذهب في الإعداد للثورة المنظمة الشاملة، وبعد خمس سنوات قضاها الوفد بصحبة أبي عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة، وجماعة شيوخ

المذهب، عاد حملة العلم الخمسة إلى بلاد المغرب، وفور عودتهم سنة 140هـ(757م) شرعوا في الاتصال برؤساء القبائل لتهيئة الثورة، وقد كللت مساعيهم بالنجاح، وبويع أبو الخطاب – وهو الذي أشار أبو عبيدة، بتقلده لزعامة الحركة – بالإمامة[38].




الفصل الرابع

ثوراتها على العبّاسيّين




الفصل الرابع
ثوراتها على العبّاسيين

أ- أثناء حركة أبي الخطاب (140هـ - 144هـ)

- نسبه:

هو عبد الأعلى بن عبد الرحمان بن السمح المعارفي اليمني، كنيته أبو الخطاب من طلبة العلم الخمسة الذين أخذوا المذهب الاباضي عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة.

وبعد خمس سنوات من الدراسة والتفقه على شيوخ المذهب، عاد مع الأربعة الآخرين وهم:

عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار المنداسي، داود القبلي النفزاوي، وعبد الرحمان بن رستم. وقد أظهر خلال دراسته مقدرة

ونشاطا زائدا،مما جعل أبو عبيدة يرشحه لزعامة الاباضية إذا ما قدّر لهم الظهور.

عاد الوفد إلى بلاد المغرب، وشرع طلبة العلم الخمسة في مهمتهم، وتركزت دعوتهم ونشاطهم السّري في طرابلس لأنها ألّيق مكان، فهي التي احتضنت المذهب الاباضي قبل غيرها من المناطق، كما أنها هي التي عرفت أعمال العنف ضد ولاة بني أمية، وكانت مسرحا لها وما تزال مستعدة للانفجار، وأهلها تواقين إلى إنشاء دولتهم من جديد، لهذا رابط فيها طلبة العلم الخمسة وخاصة منهم أبو الخطاب، وعبد الرحمان بن رستم، وقد التف حولهما الاباضية على اختلاف نتائجهم وطباقتهم وكان أكثرهم من هوارة ولماية ونفزاوة ومغراوة وزناتة[1].

- مبايعته:

بعد أن أنس اباضية طرابلس من نفسهم القوة، أخذوا يعملون على إعلان إمامة الظهور، وقد وقع اختيارهم على بلدة صياد، فكانوا يعقدون بها جلساتهم التشاورية وفي أخر اجتماع لهم اتعدوا ليوم معلوم يجتمعون فيه فيأتي كل منهم من خلّفه من أتباعه ويظهر أن اجتماعهم بسبب أرض أرادوا قسمتها، وقيل بسبب رجل وامرأة اختصما ويجعلون عدتهم في غرائر مملوءة تبنا[2].

وفي اليوم المعلوم التقى زعماء طرابلس ومعهم أتباعهم، فاتفقوا على مبايعة أبي الخطاب، فبايعوه على أن يحكم بينهم بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، وقد قبلها أبو الخطاب بشرط ألا تذكر في

عسكر مسألة الحارث وعبد الجبار[3] وكان هؤلاء الزعماء وأتباعهم من هوارة وطريشة ونفوسة[4].

فتح طرابلس:

بعد أن تلت البيعة لأبي الخطاب رجع الخاصة إلى مدينة طرابلس ووراءهم أتباعهم يسوقون الجمال المعبأة بأحمال التبن، فلما توسطوا المدينة أناخوا بجمالهم وأخرجوا منها سلاحهم وصاحوا "لا حكم إلا لله" وقد سمعها من بالمدينة من هوارة وزناة فانضموا إلى أبي الخطاب فكثر بذلك جنده واستطاع أن يحتل دار الولاية، واهم النقاط في المدينة ويلقي القبض على واليها عمر بن سويد المرادي، وبعد إلقاء القبض عليه خيره أبو الخطاب بين البقاء في المدينة مكرما وبين مغادرتها إلى المشرق، فاختار الرحيل وتمت بذلك السيطرة على طرابلس كلها.

وبعد أن تمت السيطرة لأبي الخطاب على طرابلس شرع في تعيين جهاز الدولة فعّين على سرت عمر بن يمكتن اللواتي[5].

توسعات أبي الخطاب:

وبعد هذه الترتيبات الإدارية، اتجهت أنظار أبي الخطاب إلى الخارج، فقصد جزيرة جربة وجبل دمر فافتتحهما في نفس العام كما فتح قابس وهو في طريقه إلى القيروان لنجدة أهلها من ظلم ورفجومه[6].

نكبة القيروان بورفجومة واستغاثتها بأبي الخطاب:

بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمان، دخل عبد الملك بن أبي الجعد القيروان بقوات من الصفرية (وفعل كما كان يفعل عاصم): فاستباح المحرمات وهتك الأعراض وداس المقدسات الدينية فأرغم بهذه التصرفات أهل القيروان على هجرها[7]. واشتد البلاء عليهم وأرسلوا إلى أبي جعفر المنصور يستنجدون به حسب بعض الروايات، وبأبي الخطاب المعافري إمام الاباضية بطرابلس استنادا إلى رواية أخرى. وأرى أنهم استنجدوا بالاثنين في وقت واحد، لأنهم أضاعوا صوابهم أمام المناكر التي ارتكبتها ورفجومة وفي حق المقدسات الدينية، وفقدوا ثقتهم فيها بعد أن كانوا قد طلبوا دخولها إلى القيروان. ويذكر دبوز: أن أهل القيروان أرسلوا وفدا إلى أبي الخطاب يشكون إليه ما حل بهم، ويستغيثون به، وقد يكون زميله عبد الرحمان بن رستم هو صاحب هذه الفكرة في وقت فقد فيه القيروانيون صوابهم.كما تلقى رسائل من أناس مظلومين.

قال أبو زكرياء: في كتابه سير الأئمة "بلغنا أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى الإمام أبي الخطاب تشكو إليه جور ورفجومة تقول: أما بعد يا أمير المؤمنين فإن لي ابنة وقد بلغت في الخوف عليها من ورفجومة والحيطة لها أن حفرتُ حفرة تحت سريري وصنتها فيها خشية أن يفسدوها كما فعلوا بأمثالها، فانظر إلينا. فوصلت البطاقة أبا الخطاب وهو يتوضأ فقرأها وجعل يبكي رحمة لما نزل بها، فنادى بالصلاة جامعة فدعى الناس إلى الجهاد[8].ويذكر ابن الاثير: "أن رجلا من الاباضية دخل القيروان لحاجة له، فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهرا والناس ينظرون فأدخلوها الجامع فترك الاباضي حاجته، وقصد أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فأعلمه بذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول: "بيتك اللهم بيتك"[9].

فتح القيروان:

لقد أنكر أبو الخطاب هذا الفعل من ورفجومة، وأنكرت معه سائر القوى من هوارة وزناتة فخرج بهما من طرابلس سنة141هـ في ستة ألاف قاصدا القيروان[10].وعلم بخروجه عبد الملك بن أبي الجعد فسير إليه جيشا لقتاله خارج القيروان، هزمه أبو الخطاب وسار إلى القيروان، فخرجت إليه ورفجومة واقتتلوا، وحمى الوطيس" فانهزم أهل القيروان الذين مع ورفجومة وخذلوهم، فتبعتهم ورفجومة في الهزيمة، وكثر القتل فيهم، وقتل عبد الملك الورفجومي، وتبعهم أبو الخطاب يقتلهم حتى أسرف فيهم وعاد إلى طرابلس "[11]. وذلك في صفر في سنة 141هـ.

وبهزيمة الصفرية تصبح إفريقيا تابعة لأبي الخطاب ويصبح أول والي عليها من قبل الاباضية.

تولية عبد الرحمان بن رستم على القيروان:

بعد أن تمت السيطرة لأبي الخطاب على القيروان، ولى عليها زميله في الدراسة عبد الرحمان بن رستم الفارسي[12].وعاد هو إلى طرابلس لاستعداد للقاء جيش أبي جعفر المنصور الذي أرسله إلى إفريقية.

- ولاية ابن الأشعث على مصر وحروبه مع أبي الخطاب:

اختلف المؤرخون حول الدوافع التي جعلت أبا جعفر المنصور يرسل قواته إلى إفريقية :

فيرى البعض أنه (أراد أن يرجع إفريقيا إلى العباسيين، ويدخلها تحت نفوذهم، بعد أن نبذ عبد الرحمان بن حبيب طاعتهم واستبد بها)[13].ومعنى هذا أن فكرة إرسال الجيش إلى إفريقة قديمة وسابقة على ولاية أبي الخطاب، بينما يرى البعض الأخر أن خروج أبي الخطاب إلى إفريقية وانتزاعها من يد الصفرية الورفجوميين هي التي جعلته ينتبه لخطر أبي الخطاب ويرسل الجيوش[14]. ويرى دبوز- وهو من المؤيدين لهذا الرأي- بأن تولية ابن الأشعث على مصر بدل موسى ابن كعب التميمي، إنما لمهمة القضاء على أبي الخطاب، واسترداد ما فقدته الدولة العباسية في المغرب الإسلامي[15]. فإذا كان هذا الرأي صحيحا فإن ابن الأشعث لم يكن على علم بقوات أبي الخطاب وما تجمع له من البربر، لذلك لم يرسل العدد اللازم لإخضاع أبي الخطاب واكتفى بأن أرسل جزءا من قواته تحت قيادة أحد قواده هو العوام بن

عبد العزيز البجلي، وقد بلغت أخباره أبا الخطاب، فخرج إليه حتى بلغ ورداسة (في شرق طرابلس) فبقي بها، بينما أرسل جزءا من قواته تحت قيادة مالك بن سحران الهواري، فالتقى بالعوام عند سرت فدارت بينهما معركة هزم فيها العوام، وقتل عدد كثير من جيشه[16].

بعد هزيمة سرت تنّبه ابن الأشعث إلى خطورة الموقف، وعلم أنه صعب للغاية، ولا بد من استعداد كامل له، فأعد جيشا أخر أقوى من الأول وتحت أمهر قواده هو عمر بن الأحوص العجلي، ورغم ما بذله بن الأشعث في إعداد هذا الجيش، فإنه لم يكن في المستوى الذي يمّكنه من إحراز النصر على أبي الخطابوما أن علم أبو الخطاب بمسيره حتى بادر بلقائه خارج طرابلس، فالتقى به عند مغمداس غرب سرت، فدارت بينهما معركة سقط فيها قتلى كثيرون من كلا الطرفين، هزم فيها أبو الأحوص ورجع إلى مصر مدحورا[17].

بلغت أنباء هزائم جيوش ابن الأشعث إلى أبي جعفر المنصور، فبعث إليه يطلب منه التوجه بنفسه على رأس قوات من الجيش إلى أبي الخطاب، فسار ابن الأشعث في جيش بلغ عدده خمسين ألف مقاتل يقودهم ثمانية وعشرون قائدا منهم الأغلب بن سالم التميمي[18].

وعلم أبو الخطاب بهذه الحشود الهائلة التي أرسلها إليه أبو جعفر المنصور فجمع جيشه ونادى بالناس فكثر المتطوعون، كما بعث إلي واليه على القيروان عبد الرحمان بن رستم يطلب منه أن يمده بما لديه من قوات، وقد بلغ عدد جيش أبي الخطاب من الكثرة ما جعل بعض المؤرخين يغالون في ذكر عددها، إذ تشير بعض النصوص التاريخية إلى أنه بلغ 120 ألفا وهو عدد خيالي لا يمكن أن يؤخذ على علته.خرج أبو الخطاب بهذا الجيش العرمرم حتى وصل سرت فأخذ فيها مكانه

ينتظر وصول ابن الأشعث، إلا أن ابن الأشعث فوت عليه هذه الفرصة الثمينة، وحرمه من إحراز نصر محقق، فابن الأشعث كقائد عسكري لا بد أن يضع كل الاحتمالات، ويحتاط للأمر خاصة وأنه تلقى ضربتين موجعتين على يد أبي الخطاب وفي نفس المنطقة لهذا تثاقل في سيره وأرسل من يزوده بكل المعلومات المتعلقة بسير أبي الخطاب واستعداد جيشه فعلم أنهم "رهبانا بالليل أسودا بالنهار" يتمنون الجهاد بلقائه كما يتمنى المريض لقاء الطبيب وأنهم على عدلهم وتقواهم وتطبيقهم لأحكام الله " لو زنا صاحبهم لرجموه، ولو سرق لقطعوا يده"[19].

وفي قمة هذا الاستعداد حدث ما من شأنه أن يؤثر على ميزان القوى ويرجح الكفة لصالح ابن الأشعث، فلقد تنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناتة، ويظهر أن الحكم كان لصالح هوارة فاتهمت زناتة أبا الخطاب بالانحياز والميل إلى هوارة ففارقته جماعة منها[20].

ومن جهته فإن ابن الأشعث أمام هذه الاستعدادات المادية والنفسية، قد تظاهر بأن المنصور أمره بالعودة وأظهر الأغتباط حتى لا ينكشف أمره، وعاد إلى الوراء مسيرة ثلاثة أيام سيرا بطيئا[21]. وعمل بكل الوسائل على أن يشاع عنه هذا الخبر، وهذا ما حدث بالفعل، فقد عاد إلى أبي الخطاب من قومه من يخبره بعودة ابن الأشعث إلى مصر.ويبدو أن أصحاب أبي الخطاب، وهم من المتطوعين قد أعياهم طول الانتظار واطمأنوا لعودة ابن الأشعث، فانصرف الكثير منهم عن أبي الخطاب، وهو غير راض، ولم يبق معه إلا عدد قليل هم من هوارة ونفوسة وطريشة[22].

اما ابن الأشعث فبعد مسيرة ثلاثة أيام، أختار أهل الجلد والقوة في جيشه ففاجأ بهم أبا الخطاب، وأرغمه على خوض حرب، هو غير مستعد لها، فدارت بينهما معركة رهيبة في صحراء سرت وفي وقت شديد الحر، وموارد الماء تحت رقابة قوات ابن الأشعث، ورغم عدم تكافؤ القوى استمات أبو الخطاب وأصحابه في القتال، فقاتل حتى قتل ومن معه من أتباعه الاثني عشر ألفا عن أخرهم[23].

وممن قتل مع أبي الخطاب في هذه المعركة، عمر بن يمكتن اللواتي، عامله على سرت.

ومن شخصيات هوارة وأعضاد أبي الخطاب، أوس بن عمر الهواري، وأبو يحيى الهواري[24].

ظن ابن الأشعث بهذا الانتصار الخاطف قد وضع نهاية لثورات الخوارج، إلا أنه لم يمض أقل من شهر حتى جمع أبو هريرة فلول البربر بلغ عددها ستة عشر ألفا، وهاجم بها ابن الأشعث، فتصدى له ابن الأشعث في ربيع الأول عام 144 هـ وقتلهم جميعا[25]. فأرسل الخبر إلى المنصور يعلمه بانتصاراته.

وبعد أن استتب الأمر له، عين ابن الأشعث جهازه الإداري، فعين على طرابلس المخارق بن غفار الطائي وعلى الزاب الأغلب بن سالم التميمي[26].

طرابلس في ظل الحكم العباسي:

بعد القضاء على دولة أبى الخطاب، أرسل ابن الأشعث قائده إسماعيل ابن عكرمة إلى زويلة وودان، فافتتح ودان وقتل من بها من الإباضية، كما فتح زويلة وقتل رئيسهم عبد الله بن سنان، وأجلى من بقي بها من الاباضية .[27] أما هو فقد سار بنفسه إلى طرابلس، وجبل نفوسة، وتتبع زعماء الإباضية وعلمائهم فقتل منهم خلقا كثيرا. وهكذا سار على منواله كل من أتى بعده من ولاة طرابلس، فقد أمعنوا في إذلال من بها من البربر، فقد كان الجزيري وهو أحد ولاة بني العباس ينتقل بين أحياء البربر ومدنهم وقراهم، وكان يشترط على من ينزل عليه من البربر ألا يفلي لحيته إلا الجواري الحرائر من المسلمين.[28] كانت هذه السياسة إلى جانب ما جبل عليه الإباضية، من ثورات على الحكم القائم، من الأسباب الرئيسية لثورة طرابلس الكبرى سنة 154 هـ بقيادة إمامهم أبي حاتم الملزوزي.

بـ أثناء حركة أبي حاتم الملزوزي (145هـ-155هـ)

بعد القضاء على دولة أبي الخطاب. واصل اباضية طرابلس نشاطهم السري تحت زعامة أبي حاتم الملزوزي.

نسبه:

يختلف المؤرخون حول نسب أبى حاتم، فيذكر بعضهم وعلى رأسهم العلامة ابن خلدون أنه من ملزوزة إحدى فروع قبيلة مغيلة، قوم أبي قرة اليفرني الزناتي،[29] وفي قول ثاني أنه من سدراته، بينما يذكر فريق ثالث بأنه من قبيلة هوارة ، ويريد بعض هؤلاء أن يستدل على صحة ما ذهب إليه، كون أبي حاتم يقيم في طرابلس، حيث موطن القبيلة، وأنها أي هوارة من أشد القبائل البربرية وأكثرها عددا ومشاركة في ثورات الاباضية.[30] إلا أن هذا التعليل لا يمكن قبوله، فكون القبيلة تزعمت ثورات الاباضية. لا يعني بالضرورة أن يكون أبو حاتم منها، فالمعروف أن هوارة منذ بداية هذه الثورات حتى نهايتها كانت دائما تلتف حول زعماء أجانب عنها، كان الحارث بن تليد وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري يمنيين، وعكاشة فزاريا، وابن رستم فارسيا ، وأبو يزيد مخلد بن كيداد زناتيا. وكونه يقيم بين هوارة لا يكفي أن يكون دليلا على أنه منها. فقد يكون كما قال دبوز: رحل هو أو أحد أجداده من المغرب الأوسط حيث موطن قبيلته واستقر بطرابلس بين هوارة وانتسب إليها.

مبايعته:

بويع أبو حاتم في رجب 145 هـ كإمام دفاع ومكث عدة سنوات في طرابلس وكان خلالها يرسل الصدقات إلى عبد الرحمان بن رستم الذي كان يعد لقيام الدولة الرستمية، وكانت ولايته على غرار ولاية أبي الخطاب، فبعد أن اشتدت شوكة الإباضية في أحواز طرابلس تظاهروا بأنهم يريدون الاجتماع على أمر امرأة مسلمة وكان زوجها رجل سوء ساءت سيرته إليها فبايعوا أبا حاتم.[31]

ثـورة طرابلس 154هـ:

كان واليها من قبل عمر بن حفص هو الجنيد بن بشار الأسدي، وأرسل إلى أبي حاتم، بعد أن رفض الإذعان له والدعاء للخليفة العباسي، خمسمائة فارس تحت قيادة حازم بن سليمان. هزمهم أبو حاتم وقتل عددا كبيرا منهم، وعاد حازم إلى الجنيد مهزوما.[32]

وفي هذه الأثناء كان والي إفريقية، عمر بن حفص، مشغولا ببناء مدينة طبنة، بعيدا عن القيروان، فأرسل إليه الجنيد بن بشار يطلب منه نجدته، فأمده بأربعمائة فارس تحت قيادة خالد بن يزيد المهلبي، فالتقيا بأبي حاتم في معركة هزم فيها خالد والجنيد وفرا إلى قابس ودخل أبو حاتم مدينة طرابلس[33].وتذكر بعض النصوص التاريخية أن أهل طرابلس من العرب تعرضوا إلى بطش الاباضية تشفيا وانتقاما لما حل بهم على يد ابن الأشعث وخلفائه.استنجد الجنيد مرة أخرى بعمر بن حفص فأمده بسليمان بن عباد المهلبي، فالتقى بأبي حاتم عند قابس فدارت الدائرة مرة أخرى على قوات ابن حفص فانهزم سليمان بن عباد المهلبي ورجع أبو حاتم إلى طرابلس وأقام بها شهورا نظم

خلالها أمور طرابلس، وعين العمال على نواحيها، ثم اتجهت أنظاره إلى إفريقية فأخذ يستعد للسير إليها[34].

ثورة إفريقية وحصار القيروان:

في هذه اللحظة كان عمر بن حفص يعاني من الحصار الذي ضرب عليه في طبنة من طرف قوات من الاباضية والصفرية بقيادة عبد الرحمان بن رستم والمسور بن هاني، وأبو قرة اليفرني.وقد استغلت إفريقية هذه الفرصة فأعلنت ثورتها، وزحفت على القيروان. فخرج إليهم خليفة عمر بن حفص على القيروان (حبيب بن حبيب المهلبي) فهزموا جيشه وقتلوه، وأغلقت القيروان كعادتها أبوابها، وتحصن بها جيش ابن حفص والموالين له من أهل افريقية.

أراد أبو حاتم أن يستغل هذه الفرصة فسار بجيشه الكبير الذي يتكون من هوارة، ونفوسة وزناتة لنجدة الثوار، فانضم إليهم، وشددوا الحصار على القيروان، وقطعوا عنها الميرة والأقوات، حتى أكلوا الدواب والقطط والكلاب، وعم الغلاء، فبلغت أوقية الملح فيها درهما.[35]

إن ما يميز ثورة أبي حاتم عن غيرها من الثورات السابقة عليه هو تنسيقه مع العناصر الخارجية الأخرى، اباضية وصفرية، فبعد أن طال أمد الحصار على القيروان، رأى أبو حاتم أن أفضل حل للقضاء على الحكم العباسي في افريقية، هو ضرب ممثل هذا الحكم عمر بن حفص، ورأى الفرصة مواتية لما حوصر عمر بطبنة من طرف قوات من الاباضية والصفرية على رأسها عبد الرحمان ابن رستم في ستة آلاف، والمسور بن هاني في عشرة آلاف وأبو قرة المغيلي في أربعين ألفا، وعبد

الملك ابن سكريد الصنهاجي في ألفين، وجرير بن مسعود فيمن تبعه من مديونة.[36] غير أن هذا التنسيق والائتلاف الخارجي لم يكتب له النجاح، وسرعان ما فض، وانصرفت جميع هذه العناصر عن طبنة، ويختلف المؤرخون حول أسباب عدم مواصلة الخوارج لحصارهم طبنة، فيرى بعضهم أن عمر اضطر أن يسلك معهم سياسة فرّق تسد، فعمل على شراء ذمم بعضهم بالمال، فانسحبوا وأرغموا الباقين على التقهقر، على أنهم اختلفوا فيمن قبل هذه الأموال، فقال بعضهم: أبو قرة وقال البعض الأخر أن أبا قرة أبى أن يقبل هذه الأموال قائلا لرجاله: "بعد أن سلّم علّي بالخلافة أربعين سنة، أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ".[37] وأن آخاه هو الذي قبلها وانسحب من الميدان، وأرغم بذلك أبا قرة على الانسحاب و ويؤيد هذا القول أن أبا قرة بعد انسحابه، آخذ يترقب الفرصة للوثوب على طبنة، وما أن خلا له الجو بخروج عمر حتى وثب على خليفته المهنا، غير أن هذا الأخير هزمه فتراجع، وأنه بعد ذلك اتجه إلى القيروان ليشد أزر أبي حاتم الذي آثر العودة بعد فشل حصار طبنة لمواصلة حصار القيروان، وقد شدد الحصار عليها بجيشه البالغ مائة وخمسين ألفا واضطر الكثيرين من الخروج من المدينة والانضمام إلى قواته. وكادت القيروان تسقط في أيدي أبي حاتم، لولا أن عمر بن حفص ترك طبنة على وجه السرعة لفك الحصار عليها. وفى الطريق كاد أن يقع في قبضة الاباضية لولا أن سلك طريقا مغايرا (طريق تونس بدلا من الاربس) فوصل إلى القيروان قبل آبي حاتم الذي خرج للقائه، وتمكن من تزويد القيروان بالميرة والملح والحطب، وأغلق أبواب القيروان، وخندق على باب أم الربيع[38].

وصل أبو حاتم القيروان، وشدد الحصار عليها، حتى نفذت أقواتهم من جديد، وبذلك عادت هذه السياسة على عمر بأوخم العواقب، لقد أجهد الحصار من في القيروان، ودب اليأس في نفوسهم، فرأى عمر أن يفك الحصار الذي ضربه على نفسه، ويخرج من المدينة، ويغير من جديد على القرى والمدن المجاورة للتزّود بالميرة، فلما هَم بالخروج، اختلف عليه أهل القيروان، وقالوا له:"لا يجوز أن تخرج ونبقى نحن في الحصار. أقم معنا! قال نعم أقيم معكم وأخرج جميلا والمخارق ومن أحببتم. قالوا: نعم"[39] إلا أن جميلا والمخارق وغيرهما من قواده، اختلفوا عليه، ورأوا في الخروج من المدينة انتحار بدون نتيجة، فهَموا بالخروج ولكن سرعان ما تراجعوا عنه، قال النويري "فلما جاء المخارق وجميل بن صخر وصحبهما إلى باب القيروان قالوا: تقيم أنت في الراحة ونخرج نحن!، لا والله لا نفعل "[40] وعاش فترة في صراع نفسي قاتل بين أن يخرج لفك الحصار ويزود المحاصرين، وقد لا ينجح، وبين أن يظل مع المحاصرين وأقواتهم قد نفذت، والجوع قد يفنيه ويفنيهم، وبينما هو على ذلك وصلته رسالة من زوجته خليدة بنت المعارك تخبره فيها بان المنصور قد استبطأه، وبعث في نجدته ستين ألفا بقيادة يزيد بن حاتم، فعمّقت بذلك رغبته في الخروج، وكانت لذلك نهايته.[41]

نجدة المنصور لعمر بن حفص ومصرعه:

لقد طال أمد الحصار وعلم أبو جعفر المنصور أن الأمر ليس عاديا تماما، وأن عمر بن حفص لا يستطيع فك الحصار، والقضاء على أبي حاتم، فعزم على إرسال قوة ضخمة، أنفق فيها أموالا كثيرة تحت أمهر قواده، هو يزيد بن حاتم، ورافقه حتى وصل بيت المقدس،[42] فأرسل إلى عماله في مصر وبرقة وطرابلس أن يحشدوا ما لديهم من الجيوش ويضموها إلى يزيد.

وبلغت بذلك قوات يزيد ابن حاتم ما يزيد عن مائة ألف، وقد شاع خبر إعداد هذه الحملة بين الناس وعلمته خليدة بنت المعارك زوجة هزار مرد ورأت ذلك عارا على زوجها وعلى سمعته كقائد مغوار فأرسلت إليه تخبره بأن المنصور قد استبطأه "فبعث بيزيد بن حاتم إلى إفريقية وهو قادم في ستين ألفا ولا خير في الحياة بعد هذا ".[43] عندئذ أنفت نفسه أن يشاع عنه بأن يزيدا أخرجه من الحصار، وخرج من المدينة قائلا: "إنما هي رقدة ثم أبعث إلى الحساب" وقاتل أبا حاتم قتالا مستميتا حتى قتل وذلك يوم السبت منتصف ذي الحجة سنة 154 هـ على يد أبي حاتم وأبي غادي، وكانت مدة ولايته أربع سنوات[44].

وبعد موت عمر بن حفص، تمكن أخوه لأمه، وهو جميل بن صخر أن يفاوض أبا حاتم ويخلق نوعا من التفاهم، ولو أنه كان آنيا، وقد توصل إلى ذلك على أسس: ألا يخلف أهل القيروان طاعة سلطانهم، ولا ينزعوا سوادهم، وألا يكره أحد من جنده على بيع سلاحه ودوابه، وألا يؤخذ أحدهم على من قتل من البربر وسفك من الدماء في الماضي[45].

والذي يمعن في هذه الشروط التي تم بموجبها عقد هدنة، يستنتج أن جميلا أراد كسب الوقت فقط، وأن أهل القيروان لابد أن يثوروا، ولاشك أن موافقة أبي حاتم الملزوزي لم تكن نهائية، فقد تظاهر بالرضا أول الأمر، وكان رضا مشوبا بالحذر "وعندما دخل المدينة، ورأى السواد شعارا، والأسلحة شاهرة، وطاعة المنصور نافذة"[46]. تراجع في الحال وأمر الجند العباسي بالخروج منه إلى طبنة بعيدا عن افريقية وجردهم من السلاح حتى لا تحدثهم أنفسهم بالثورة عليه مرة أخرى ودخل القيروان وهدم سورها وأحرق أبوابها.

لم تطل إقامة أبي حاتم في القيروان، فقد بلغته أنباء وصول النجدة العباسية التي أرسلها أبو جعفر المنصور، فجهز جيشا من هوارة ونفوسة وضريسة وأخلاط البربر، فحظهم على الجهاد، ورغّبهم في الاستشهاد، وخرج لملاقاة يزيد بن حاتم، فاستخلف على القيروان عبد العزيز ابن السمح المعافري ومعه عدد قليل من الجيش، وفي طريقه إلى طرابلس، أرسل إلى خليفته عبد العزيز بن السمح المعافري يأمره بتجريد من بقي من جند جميل بن صخر، وألا يترك اثنين منهم يجتمعان في مكان واحد، وأن يرسلهم إليه واحدا بعد الأخر[47]. ويظهر أن أهل القيروان قد بلغهم ما بيته لهم أبو حاتم، فعجلوا بثورتهم، وقتلوا جماعة كثيرة من أصحابه[48].

علم أبو حاتم بما وقع، فعاد على جناح السرعة، ووجد عمر ابن عثمان رأس الثوار قد فّر إلى تونس، وجميل ابن صخر والجنيد ابن سيار قد اتجها إلى المشرق للانضمام إلى قوات يزيد بن حاتم[49].

كلف أبو حاتم جرير بن مسعود المديوني باقتفاء أثر عمر بن عثمان، وعاد هو إلى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم، فالتقى به عند

مغمداس قرب سرت، ودارت بينهما معركة تمكن أبو حاتم في بدايتها من هزيمة طلائع جيش يزيد، بلغ تعدادها ستة عشر ألفا، إلا أن بلاء يزيد وحسن قيادته للجيوش، وانضمام قبيلة مليلة الهوارية إليه مع جماعة من قبائل البربر الأخرى، كيوسف الفرطيطي وعمر بن مطكود النفوسي (اللذان دلاه على عورات البلاد) اضطرت أبا حاتم إلى التراجع نحو جبل نفوسة ليأخذ فيها مكانا وعرا خلف خندق حفره في الحين[50].

وقد تم له النصر في أول لقاء له مع يزيد، لكن يزيد أفسد عليه خطته، حيث أشار عليه بعض من انضموا إليه من زعماء نفوسة أن يستند إلى جبل جندوبة المنيع ليقي ظهره، فكّر على أبي حاتم وتمكن من اجتياز الخندق، والتقت جيوشه بجيش أبي حاتم فهزمتها، وقتل أبو حاتم وكان ذلك في شهر ربيع الأول 155هـ[51].

لم يكتف يزيد بهذا النصر العسكري الخاطف، واستبدت به شهوة الثأر لقريبه عمر بن حفص فتّتبع الاباضية في كل سهل وجبل وقتل من هوارة ونفوسة خلقا كثيرا.

ولخوفه من ثورة البربر عليه هناك، استمر في طرابلس مدة شهر كامل، ثم استخلف عليه أحد قواده ويدعى سعيد بن شداد، وسار إلى القيروان فدخلها في جمادي الثانية سنة 155هـ [52].

كانت هذه الضربة التي ألحقها يزيد بأبي حاتم نهاية لثورات الخوارج الاباضية في صورتها المنظمة الشاملة، غير أنه لم يستطع القضاء عليها نهائيا، فقد تجددت في عهد خلفائه وكانت إقليمية

محضة، اقتصرت في طرابلس على اباضية هوارة سنة 156هـ، وعلى نفزاوة في افريقية، وقد تم القضاء عليها وعلى رؤسائها في الحين[53].

ج. ثورة أبي يحيى بن فرياس الهواري :

اقتصرت هذه الثورة كما سبق القول على هوارة طرابلس، وكانت لذلك إقليمية محضة، تم إخمادها بكل سهولة، ويظهر أن هذه الثورة كانت في المقام الأول كرد فعل لما أوقعه بهم يزيد بن حاتم، وكانت بزعامة أبي يحيى بن فرياس الهواري، وقد انضمت إليها جماعة من نفوسة وزناتة، غير أنها لم تصمد إلا قليلا، فقد تصدى لها عبد الله ابن السمط الكندي، فاشتبك بأبي يحيى في الساحل الشرقي لطرابلس، ودارت بينهما معركة ذهب ضحيتها قتلى كثيرون من كلا الطرفين، واستطاع عبد الله بن السمط أن يخمدها، ويعيد الهدوء والسكون إلى طرابلس[54].

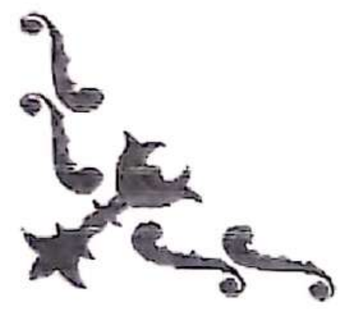
بهذا تتصدع حركات الاباضية في المغرب الأدنى وافريقية وتتهدن البلاد ليزيد بن حاتم وخلفائه من آل المهلب، وحققت افريقية في عهده نهضة ثقافية واسعة[55].

أما في المغرب الأوسط، فقد نجح عبد الرحمان بن رستم في جمع "بقايا السيوف من الاباضية" وأقام الدولة الرستمية التي عمرت 152عاما، مكنت اباضية المغرب الأوسط والأدنى من تطبيق مذهبهم وممارسة نشاطهم الثقافي والاقتصادي في حرية واطمئنان[56].هذه الدولة التي أقامت برهانا قويا على نجاح ثورات الاباضية في تحقيق هدفها في إقامة دولة اباضية تقوم على العدل والمساواة.




الفصل الخامس

هوارة والدولة الرستميّة




الفصل الخامس
هوارة والدولة الرستمية

فبعد فترة طويلة من النضال ضد ولاة بني أمية وبني العباس، أثمرت ثورات الخوارج الاباضية، وانتهى نضالهم بقيام الدولة الرستمية في المغرب الاوسط.

وكانت قبيلة هوارة ممن أنشأ هذه الدولة ولعبت دورا هاما في حياتها السياسية بعد ذلك- سلبا وإيجابا- سواء في تاهرت أو في طرابلس وجبل نفوسة.

أولا: في تاهرت

1. دورها في قيام الدولة الرستمية:

بعد استشهاد أبي الخطاب كان من الطبيعي أن يتجه عبد الرحمن ابن رستم إلى المغرب الأوسط لائذا بالقبائل الاباضية بها.وبعد رحلة شاقة وعسيرة وصل جبل سوفجج واتخذه هو ومن تبعه من طرابلس وسائر أقاليم المغرب ملاذا لمناعته وهناك توافدت عليه قبائل المغرب الأوسط، لماية، ولواتة، وهوارة.وأمدته بكل ما يحتاج إليه من زاد وسلاح واستطاع أن يصمد أمام ضربات ابن الأشعث الذي اضطر أن يعود من حيث أتى بعد أن حل الوباء بجيشه [1].

وإثر رحيل ابن الأشعث استطاع عبد الرحمان بن رستم أن يغادر جبل سوفجج إلى تاهرت القديمة، وكانت تسكن بها ومن حولها قبائل: هوارة، ولواتة، ومكناسة، ومزاتة ولماية، ومعظمها على المذهب الاباضي. وكان من الطبيعي لذلك أن ترحب به وخاصة لماية لقديم حلف بينه وبينهم [2]، وتلتف حوله، وبوصول ابن رستم إلى تاهرت والتفاف اباضيتها حوله تبتدئ ما يعرف في اصطلاح الاباضية بإمامة الدفاع وأول ما ابتدأ، به العهد الجديد، هو مساهمته في حصار عمر بن حفص (هزارمرد) بطبنة على رأس ستة ألاف جندي من مختلف القبائل الاباضية بالمغرب الأوسط.وبعد رفع الحصار عن طبنة، وهزيمة جيوش عبد الرحمان بن رستم عند تهودة، تأكد لدى اباضية تاهرت أكثر من ذي قبل وجوب الإسراع في إنشاء دولة لهم، وفاوضوا في هذا الشأن إمامهم عبد الرحمان بن رستم فأجابهم إلى ذلك: لكنه

رأى أن يبتدئوا ببناء مدينة تليق عاصمة للدولة الجديدة قبل الإعلان عنها بمبايعة إمامها.(3)

وإثر ذلك جاب الرواد أطراف إقليم تاهرت بحثا عن الوضع اللائق، فوقع اختيارهم أخيرا على تاهرت الحديثة، وكانت لقوم من صنهاجة ومنداسة (هوارة) وأثمرت المفاوضات عن تنازل هذه القبائل عن الموضع المختار لقاء دخل معلوم من أسواقها وغلاّت أراضيها (4).

وبعد بناء تاهرت أي حوالي ستة عشر عاما من انتقال عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط بادر رؤساء قبائل المغرب الأوسط: هوارة، ولواتة، ولماية ونفوسة، وصنهاجة وغيرها من القبائل العتيدة، وبايعوا عبد الرحمان بن رستم إماما للدولة الجديدة.(5) وأصبح أول أئمة الدولة الرستمية التي اشتقت اسمها من اسمه.

مركـز هوارة في الدولة الرستمية:

ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر: هوارة، ونفوسة، ومزاتة، ولواتة وسدراته ولماية، وعناصر أخرى مختلفة من الفرس والعرب والجند الإفريقي وأجناد الأئمة الرستمية- وأتباع السمح بن أبي الخطاب.(6) ولكل قبيلة من هذه القبائل، وعنصر من هذه العناصر مركزها ووظيفتها في الدولة الرستمية، اختصت العناصر الفارسية بقيادة الجيوش وأعلى المناصب في الدولة واستحوذوا على التجارة والثقافة فبنوا القصور والمنازل، باختصار شكلوا دولة داخل الدولة.(7) وانفردت نفوسة بالشؤون السياسية العامة.وتولية الأئمة أحيانا كما حدث إثر وفاة أفلح بن عبد الوهاب (الله سائلكم معاشر

نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى)[8].

أما هوارة وغيرها من القبائل البدوية كلواته ومزاتة فقد فضلت الإقامة حول تاهرت واحترفت الزراعة والتجارة وحققت منها أرباحا طائلة (فاتخذت العين والخيول ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة).[9] ولم تحظ بما حظيت به نفوسة وغيرها من العناصر (كالعنصر الفارسي) من مناصب ووظائف اللهم إلا منصب القضاء ولمرة واحدة- حسب ما تشير كثير من النصوص- تولاه محكم الهواري ولاه إياه مجلس الشورى على عهد الإمام أفلح ابن عبد الوهاب.[10] وكان دورها عسكريا محضا يتمثل في حماية النظام مع غيرها من القبائل: لواتة ولماية ومطماطة وغيرها.وكانت هذه القبائل تسلح نفسها وتستعد للحرب لتجيب داعي الإمام إذا استنفرها ودعاها لحروبه، وقد كانت هوارة وهي من القبائل القوية في الدولة الرستمية تجند في النفير العام أكثر من ثلاثين ألف مقاتل وقد خرجت يوما للحرب فعدوا في جندها ألف فرس أبلق أما غيره فأضعاف هذا[11].

ولعل لهذه المكانة ولهذا الدور الهامشي رفعت راية العصيان ضد الإمام عبد الوهاب وشكلت غير بعيد عن تاهرت إمارة ظلت على عدائها للدولة الرستمية طيلة إمامة عبد الوهاب وابنه أفلح.

ثورتـها على الإمام عبد الوهاب:

فبعد وفاة الإمام عبد الرحمن انتقلت الإمامة مباشرة إلى ابنه عبد الوهاب، فأنكر عليه يزيد بن فندين ذلك وأشهر السلاح في وجهه.وقد استغلت القبائل الساخطة عليه سياسيا هذه الثورة فأعلنت هي الأخرى تمردها وكانت ثورة هوارة إحدى هذه الثورات.

هذه الحركة تنقسم المصادر والمراجع التي تتحدث عنها إلى قسمين، البعض يعتبرها ثاني الانشقاقات المذهبية (ابن الصغير المالكي) والآخرون وهم الأكثرية يعتبرونها مجرد تمرد ناتج إما عن البطر والغنى الذي أصاب هوارة (محمد علي دبوز) أو عن الخلاف الذي وقع بين الإمام عبد الوهاب وزعيم الاوس من هوارة حول الزواج من إحدى بنات شيخ لواتة التي تعيش داخل الدولة الرستمية ومن الذين يرون هذا الرأي الأستاذ محمود إسماعيل الذي يعارض ابن الصغير رأيه ويؤكد بأن هذه الثورة خالية من أي خلاف فقهي أو مذهبي وأنها مجرد تمرد سببه مبادرة الإمام عبد الوهاب بمصاهرة شيخ لواتة وقطعه الطريق أمام زعيم الأوس من هوراة[12].

والحقيقة أن تسرع الإمام بزواجه من هذه البنت إنما كان خوفا من تحزب القبيلتين ضده (لواتة وهوارة) وهذا التحزب والخوف منه يعني صراحة أن الإمام يدرك جيدا إن سياسته وخروجه عن تعاليم المذهب لم ترض هذه القبائل وأنها تستنكر سياسته، وتنكر إمامته، وإن لم تعبر عن ذلك صراحة كما فعل ابن فندين وجماعته والذين عرفوا بالنكار، ولهذا عمد إلى هذا الزواج السياسي، وكان الإقدام على تنفيذ هذه الفكرة السبب المباشر الذي فجر ثورة هوارة عليه.

ومهما يكن فبعد الذي حدث صممت هوارة على الثورة ورحلت من مضاربها الواقعة جنوب تاهرت، ونزلت بمكان غير بعيد عنها (10 أميال) عرف فيما بعد بوادي هوارة، ومن هناك شنت العديد من الغارات قال ابن الصغير: "وتمردت هوارة وأوقدت نار الحرب وبدأت بالغارات فأصابت أول غارة لها ولدا لبقال على نهر هناك فقتلوه، وتركوه، ولم يغيروا من حالة ولا من ماله شيئا، وثارت الصيحة إلى المدينة فابتدر الناس فأصابوه ولا روح له، ولما لم يجدوا فيه تغييرا ولا نقصا في لباسه حاروا في الأمر ثم صاروا يبحثون في متاعه إلى أن فقدوا خاتما كان في إصبعه فكبروا وقالوا هؤلاء، قد استحلوا الأموال والسلب فحل للمسلمين قتالهم" [13].

وبعد أن ارتكبت ما حل للمسلمين قتالها، جهز لها الإمام عبد الوهاب جيشا من ألف فارس وحشودا هائلة من الرجالة شاركت فيه نفوسة وغيرها وأخذها على حين غفلة، ودارت بينهما معركة رهيبة على نهر أسلان قتل فيها من الطرفين خلق كثير، انتهت بهزيمة هوارة وفرار فلولها إلى جبل ينجان[14]، وهناك كونت إمارة مستقلة عن الدولة الرستمية ظلت في صراع معها طوال إمامة أفلح بن عبد الوهاب.

إمـارة هوارة:

بعد الخلاف الذي وقع بين زعيم الأوس من هوارة والذي أدى إلى رحيلها عن مضاربها جنوب تاهرت، وبعد هزيمة الإمام لها عند وادي هوارة (على بعد 10 أميال من تاهرت) غادرت جموع هوارة مضاربها الجديدة إلى جبل ينجان حيث نظمت دولة صغيرة، تحت الحكم المحلي لبني مسّالة، ويقع مركز هذه الدولة- مع نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي- فوق إقليم الهليل وغليزان، وعاصمتها مينه، وتضم قلعة هوارة التي تدعى اليوم قلعة بني راشد الواقعة بجبال ما بين غليزان ومعسكر.[15] وقد عاشت هذه الدولة طيلة إمامة أفلح بن عبد الوهاب في عداء مستمر مع الدولة الرستمية، وبعد وفاته استغل أميرها محمد بن مسالة فرصة الصراع الذي وقع في تاهرت فرحل بجموعه من هوارة ودخل تاهرت دون عناء واستغرق حكمه لها ثماني سنوات اتسمت كلها بالهدوء والاستقرار.[16]

موقفها من الصراع الذي أعقب وفاة الإمام أفلح:

أحدثت وفاة الإمام أفلح بن عبد الوهاب فراغا سياسيا كبيرا أدى إلى صراعات خطيرة استمرت طوال عهدّي ولديه الإمامين أبي بكر وأخيه أبي اليقظان وكادت تعصف بالدولة الرستمية قبل أوانها.وكانت بداية الصراع حول إمامة أبي بكر، فقد بايعته نفوسة من دون القبائل الأخرى رغم احتجاج فقهاء المذهب الاباضي على ذلك،[17]- خلاف ما تورده بعض الروايات- ثم تطورت الأمور بعد مبايعته تطورا سريعا، حيث أدار أبو اليقظان ظهره لمختلف القوى في تاهرت وحتى نفوسة التي كانت القوة الوحيدة التي وقفت إلى جانبه

واوصلته إلى الحكم وارتمى في أحضان قوة الجند والعرب التي كانت تكرهما سائر القوى ووطد صلاته بها بمصاهرة زعيمها ابن عرفة وسلم إليه مقاليد الحكم وتفرغ إلى هواياته وملذاته وكانت النتيجة لهذه السياسة أن قتل ابن عرفة في ظروف غامضة، ونتج عن هذا الحادث نوع من الفوضى السياسية عمت تاهرت " وتحفزت سائر القوى لتخرج من هذه الفوضى ظافرة بالإمامة ودخل بعضها مع البعض في ائتلافات وتحالفات لتحقيق هذه الغاية" [18].

وبالنسبة لهوارة التي كانت تشّكل إحدى هذه القوى فقد تميز موقفها بالآتي:

1- فبالنسبة لتولية أبي بكر فقد انقسمت على نفسها، وكان موقف بعض بطونها قد شذ عن موقف بقية القوى الأخرى، حيث وقفت إلى جانب أبي بكر وآزرته في محنته.[19] بينما كان موقف البطون الأخرى طبيعيا ولا يمكنه إلا أن يكون غير ذلك فقد وقفت إلى جانب القوى التي تنكر إمامة أبي بكر واستنكرت سياسته تجاه مختلف القوى التي تضمها دولته وتركه شؤون البلاد بيد ابن عرفه فغادرت تاهرت عائدة إلى مواطنها الأولى[20].

2- أما بالنسبة للصراع والفتنة التي أعقبت وفاة ابن عرفه فلقد وقفت في البداية موقف المتفرج وبعد الصراع الذي استمر عامين وأدى إلى إضعاف أطرافة جميعا وجدت الفرصة سانحة فغادرت مضاربها بجبل ينجان بزعامة أميرها محمد بن مسّالة ودخلت تاهرت عنوة وبدون مشقة كبيرة وأخذتها من يد قوة الجند والعرب ونصبت ابن مسّالة أميرا عليها، واستمر حكمه لتاهرت ثماني سنوات.[21]

وكان من الممكن أن يستمر أكثر من ذلك وتستقر الأحوال بتاهرت وتظل هوارة سيدة الموقف لولا الخلاف الذي وقع بينها وبين لواتة، بعد عام من سيطرتها على تاهرت فقد نجم عن هذا الخلاف طرد لواتة من مدينة تاهرت حيث نزلت بحصنها الذي يوجد قريبا من أسكيدال، [22] حيث يقبع الإمام أبو اليقظان والرستمية. وطبيعي جدا أن يحدث الوئام بين هذه القبيلة وبين الإمام وتبايعه بالإمامة ولو نكاية بهوارة، فبايعته سنة 611هـ/875م وانضمت إليها معظم القبائل وبايعت أبا اليقظان وأنكرت حكم هوارة.[23]

حاول أبو اليقظان بعد هذه البيعة أن يدخل تاهرت قوة وتكررت محاولاته مدة سبع سنوات، وكانت في كل مرة تبوء بالفشل.[24] وأخيرا اضطر إلى أن يطلب العون من جبل نفوسة- الجناح الشرقي للدولة – فأمدته نفوسة وحاصر تاهرت مدة، ولما لم يتمكن من دخولها فاوض ابن مسّالة وتمكن من دخولها سنة 268هـ/882م[25].

ويحاول الأستاذ دبوز أن يتبين أسباب احتلال ابن مسالة لتاهرت – رغم وضوحه – إلا أنه يناقض نفسه، فتارة يرده إلى طموح ابن مسّالة وحبه للإمارة وأخرى أنه يريد: " أن تقع تاهرت في قبضته هو وألا تقع في أيدي الجند والعباسيين الذين يغلي بهم الحقد والعداوة فيفسدون في العاصمة وينكلون بمن بقي فيها من الضعفاء الجمهوريين الذين فيهم جمهور كبير من قومه هوارة"، [26] على حد تعبيره ويستدل على ذلك بتنازله للإمام أبي اليقظان ودخول هذا الأخير تاهرت دون مقاومة. وفيما يتعلق برأيه الأول فإذا كان صحيحا فإنه لن يلام ابن مسّالة أمام تلك الصراعات وكان أولى بها، وقد أظهر كفاءته لهذا

المنصب، إذ قاد تاهرت مدة ثماني سنوات اتسمت كلها بالهدوء والاستقرار.

وبالنسبة للرأي الثاني فلا أحد ينكر تلك المحاولات التي قام بها أبو اليقظان لدخول تاهرت والتي باءت كلها بالفشل وأن ابن مسّالة لم يتنازل عن حكم تاهرت إلا عندما رأى الأمور تتجه لغير صالحه. وقد كان حكيما حين انتهز أول فرصة للصلح فتفاوض مع أبي اليقظان وأنقذ كرامته وسلم تاهرت دون أن تسفك الدماء الحرام وكان بذلك أكثر وفاء لمبادئ المذهب من أبي اليقظان الذي يمّجده الأستاذ دبوز ويدافع عنه بكل وسيلة حتى ولو ناقض نفسه.

ثانيا: في طرابلس وجبل نفوسة:

بعد سقوط إمامة أبي حاتم، وفشل ثورة هواوة بقيادة يحيى بن فرياس الهواري خضعت طرابلس للحكم العباسي العسكري، ولقي اباضية هذه المنطقة الشيء الكثير خاصة هوارة، لأنها منطقتها ومن أكبر القبائل فيها كما أنها من أشدها مقاومة للحكم العربي فيها.وبعد فشل هذه الثورات التي لعبت فيها الدور البارز كان من الطبيعي أن تلقى عنتا شديدا على يد ولاة إفريقية، وتحرم من الانضمام إلى الدولة الرستمية التي شبت وترعرت في المغرب الأوسط على خلاف جيرانها، ومن الطبيعي كذلك أن تشحن ثغورها ومراكزها سيما مدينة طرابلس بالجند الكثيروكان لا بد من أن يلقى الحكم العباسي في هذه المنطقة متاعب كثيرة من طرف هذه القبيلة العتيدة من أجل انضمامها إلى الدولة الرستمية.

ثورة عياض بن وهب وانضمام هوارة إلى الدولة الرستمية:

بدأ النزاع بين هذه القبيلة وبين عامل طرابلس سفيان بن أبي المهاجر أيام ولاية هرثمة ابن أعين على إفريقية سنة 180هـ بزعامة أحد رجالات القبيلة ويدعى عياض بن وهب الهواري وقد حاول هرثمة أن يقضي على الثورة فاستعصت عليه وكثرت الخلافات وأفلت زمام الأمر من يده فما كان إلا أن قدم استقالته للرشيد الذي قبلها وسمح له بالرجوع إلى المشرق سنة 181هـ[27].

وقد تجددت هذه الثورة أيام ولاية إبراهيم بن الأغلب سنة 193هـ بزعامة عياض بن وهب الهواري أيضا، ونجحت هوارة في اجتياح مدينة طرابلس وألحقت بها الخراب والدمار، فهب لها إبراهيم ابن الأغلب فسير إليها جيشا من سبعة ألف فارس على رأسه ابنه عبد الله الذي تمكن من هزيمة هوارة واسترداد المدينة [28].

وقد لقيت هوارة من عبد الله بن الأغلب ما لاقت وإزاء هذه المعاملة القاسية استغاثت بالإمام عبد الوهاب الذي كان موجودا بجبل نفوسة، وللعلاقة المذهبية بينه وبينهم لم يسعه إلا أن يلبي دعوتهم فخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها فانضم إلى الثورة وضرب الحصار على مدينة طرابلس، وقد بذل ابن الأغلب كل جهده للاحتفاظ بالمدينة فسد باب زناتة واكتفى بمناوشة الثوار من باب هوارة – المعروف الآن بباب المنشية – وفي أثناء هذا الحصار اغتيل مهدي النفوسي أحدث مشاهير الاباضية إلا أن هذه المكيدة لم تزد المحاصرين إلا قوة وظل عبد الله محاصرا في طرابلس لا يستطيع الخروج منها والرجوع إلى القيروان، ونفسه الأبية لا تسمح له بالاستسلام، وفيما هو في بلاء الحصار جاء الخبر، بموت والده إبراهيم بن الأغلب وكان هو وارث عرشه فلا بد من الرجوع للقيروان، فأرسل إلى الإمام عبد الوهاب يطلب منه الصلح فاصطلحوا على أن يكون الساحل كله من جنوب صفاقس إلى خليج سرت للدولة الرستمية ومدينة طرابلس والبحر للدولة الأغلبية [29].

هكذا انتصر الإمام عبد الوهاب وانتصرت هوارة بسبب قوة الحصار الذي ضرب على مدينة طرابلس وبسبب اضطرار عبد الله إلى وقف القتال وعودته إلى القيروان قبل أن يسطو أحد أبناء والده على

الحكم – وهو وارث عرشه – وقد شجع هذا الانتصار الإمام عبد الوهاب فضرب صفحا عن الاتفاق واستولى على قابس الذي كان تابعا للدولة الأغلبية، وكذلك بعض القرى والحصون المجاورة، وعبرت جيوشه البحر إلى جربة فاستولى عليها، ومنها عاد إلى جبل نفوسة ثم تاهرت بعد أن عين عمالا على هذه المناطق الجديدة[30].

وقد حاولت هوارة مع نفوسة بعد ذلك الاستيلاء على مدينة طرابلس وجعلها تابعة للدولة الرستمية في عهد أحمد بن محمد الأغلبي وذلك سنة 245هـ/860م وكادت طرابلس أن تسقط في أيديهم لولا الامدادات التي وصلت إلى عاملها من القيروان فحالت دون سقوطها.[31]

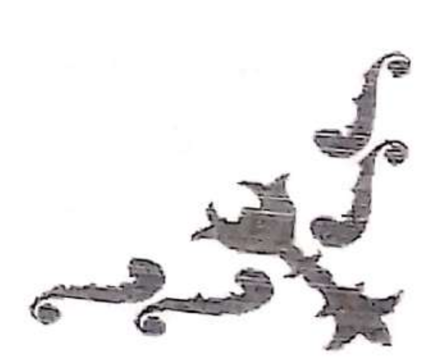




الفصل السادس

هوارة والدولة الفاطميّة





الفصل السادس
هوارة والدولة الفاطميّة

تمهيد:

سقطت تاهرت في يد عبد الله الشيعي سنة 297هـ/909م دون قتال، وبسقوطها تنتهي أكبر دولة إباضية أقامها الخوارج الاباضية في المغربين الأدنى والأوسط ويخضعون لدولة شيعية غريبة محتلة متعصبة. وكان من الطبيعي لذلك أن يثوروا عليها كلّما سنحت الفرصة ويسببون لها متاعب كثيرة بل ويهددون بزوالها من بلاد المغرب، كانت هذه الثورات: ثورة نفوسة بقيادة أبي زكريا الإرجاني، ثورة هوارة طرابلس، ثورة أبي خزر وثورة الاباضية الكبرى.(1)

دور هوارة في ثورات الخوارج الاباضية:

واجهت الدولة الفاطمية بعد قيامها بسنوات عدة ثورات للخوارج الأباضية كان لهوارة فيها سهم وافر، فلقد كانت ثورة طرابلس 330هـ/941م هوارية محضة[2]، كما لعبت دورا هاما للغاية خلال الثورة الاباضية الكبرى بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد.[3]

ثورة هوارة بطرابلس:

بعد أن استقرت الأمور لعبيد الله المهدي وخضع له طرابلس كان أول عمل قام به أن عين على طرابلس ماكنون بن ضبّارة اللحياني، فثارت علية هوارة بزعامة أبي هارون الهواري ومعها جماعة من زناتة ولماية وغيرها من القبائل البربرية وحاصرت طرابلس واضطر ماكنون إلى الاعتصام بداخله لا يستطيع الخروج، فأرسل إليه المهدي نجدة على رأسها ابن أخيه تمام بن معارك فالتقى بالثائرين خارج المدينة ودارت بينهما معركة هزموا فيها ومثّل بجثث الكثيرين منهم[4]، فكان جزاء تمام بن معارك - جزاء سنمار- فلقد بلغ المهدي أنه يتآمر ويعمل ضده، فأوعز إلى ماكنون فقتله سنة 298هـ.[5]

بعد هذا الانتصار أمن ماكنون ثورة البربر عليه فعاث في طرابلس فسادا فثار عليه أهلها من هوارة وغيرها سنة 300هـ وأخرجوه منها وغلقوا أبواب طرابلس و قضوا على من فيها من أنصار ماكنون من كتامة وغيرها.[6] ثم قدّموا عليهم محمد بن إسحاق القرشي الملقب بابن القرلين فبعث إليهم عبيد الله المهدي أسطولا بحريا تلقوه

بأسطولهم فأحرقوه وقتلوا من فيه ثم أرسل إليهم ثانية وعن طريق البحر ابن أبا القاسم في شهر جمادى الأولى سنة 300هـ فاعترضته هوارة و لعدم تكافؤ القوى أوقع بها ثم تقدم وحاصر طرابلس حتى فنى ما بها من أقوات وأكل أهلها الميتة، فاضطروا أن يتقدموا بطلب الأمان لأبي القاسم فأمنهم بشرط أن يقدموا إليه ثلاثة من زعمائهم هم: محمد بن إسحاق زعيم الثورة، ومحمد بن نصر، وثالث يقال له الحوحه(كلهم قتلوا برقادة بعد أن طيف بهم في شوارع القيروان على الجمال تشهيرا بهم) وغرامة مالية قدرها حوالي ثلاثمائة ألف دينار.(7)

ثورة أبي يزيد:

نسبه:

هو مخلد بن كيداد ينتهي بنسبه إلى قبيلة زناتة، ولد بكركو من بلاد السودان من جارية هوارية صفراء، نشأ بتوزر وتعلم القرآن، وخالط جماعة من الخوارج النكارية، فمالت نفسه إلى مذهبهم ثم انتقل إلى تاهرت وأقام بها مدة يعلم الصبيان إلى أن هاجمها أبو عبيدة الشيعي فغادرها إلى تقيوس واشترى بها ضيعة وأقام يعلم الصبيان، وكان مذهبه الخارجي هو تكفير أهل الملة واستباحة أموالهم ودمائهم والخروج على السلطان فبدأ يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم وجلب إليه طائفة من المعجبين برأيه وسلوكه حوالي سنة 316هـ، وأصبح يشكل خطرا على الدولة الفاطمية لذلك نذر الولاة بقسطيلية دمه فخرج إلى الحج من نفس السنة، ولكثرة الطلب عليه عاد من طرابلس إلى تقيوس وبعد وفاة المهدي أمر ابنه القاسم وإلى قسطيلية

بإلقاء القبض عليه ففر إلى المشرق حيث قضى فريضة الحج وعاد بعدها إلى موطنه توزر سنة 325هـ فبدأ يعد للثورة على القائم[8].

لم تطل إقامته بتوزر حتى ألقى عليه القبض وأودع السجن، حاول شيوخ النكار وعلى رأسهم أبو عمار الأعمى صاحبه أن يلتمسوا له العفو دون جدوى فصمموا على تحريره بالقوة فكان لهم ما أرادوا.[9]

فقصد بني وارجلا أملا في ينصروه، فلما لم يجد عندهم ما كان يرجوه، كتب إلى أهل الأوراس فأجابوه فمضى إليهم، حيث نزل بموضع يقال له الفوالات، وهناك اجتمع عليه الأقارب وسائر الخوارج فبايعوه سنة 331هـ/942م على قتال الشيعة واستباحة الغنائم والسلب على أن يكون الأمر شورى إذا ظفروا بالمهدية.[10]

مراحل الثورة:

يمكن بناء على الدور الذي لعبته هوارة تقسيم ثورته إلى ثلاث مراحل، تبدأ الأولى بالتفاف خوارج الأوراس حوله ومبايعته(وأغلبهم من هوارة) حتى فتح القيروان وانضمام هوارة إفريقية إليه(بنو كملان) والثانية من فتح القيروان حتى فشل حصار المهدية وتفرق جيوش أبي يزيد وبقاؤه وحده مع قبائل هوارة يواجه جيوش القائم، الثالثة منذ انصرافه عن المهدية إلى فرارة للمغرب الأوسط، وتخلى هوارة أوراس وبنو كملان عنه، وتركه وحده يواجه حصار المنصور بقلعة كتامة.

المرحلة الأولى:

بعد البيعة مباشرة عول القائم على مباغتته قبل أن يشتد عوده، فبعث إليه بجيش كبير حاصره بجبل أوراس، إلا أن أبا يزيد أفلح في فك الحصار المضروب عليه وأحرز نصرا سريعا على جيوش القائم ذاع بعده صيته وكثر أنصاره خاصة من مزاتة.[11]

بعد هذا الانتصار شرع أبو يزيد في فتوحاته فبدأها بالهجوم على باغاية فلم يوفق إلى فتحها ثم بعث إلى أنصاره من بني وسين فحاصروا توزر واستولوا عليها ومضى هو إلى تبسة ومجانة ومرماجنة ودخلها صلحا ثم تقدم واستولى على الأربس بدون قتال بعد أن فرّت عنها جيوش كتامة وأضرم فيها النيران ومنها إلى سبيبة حيث استولى عليها[12].

أحدث سقوط الأربس هلعا كبيرا في المهدية فأعد القائم جيوشه لضبط المدن والثغور فأرسلها تحت أبرع قواده قوة إلى باجة على رأسها بشرى الصقلبي وأخرى إلى ناحية المهدية على رأسها فتاهُ ميسور وثالثة إلى القيروان على رأسها خليل بن إسحاق[13].

واصل أبو يزيد فتوحاته فتقدم نحو باجة والتقى بقوات بشرى التي أرسلها المهدي لتحول دون سقوط باجة، فدارت بينهما معركة، استمات فيها الطرفان، وكادت الهزيمة تحل بجيش أبي يزيد، فقام بحركة التفاف، مكنته من الاستيلاء على معسكر بشرى فانهزم إلى تونس ودخل أبو يزيد باجة واستباحها[14].

بعد هزيمة باجة لحق بشرى بتونس فاستمال أهلها بالمال، ومن جهته بعث أبو يزيد قوة إلى تونس لملاحقة بشرى دارت الدائرة عليه،

وفي هذه الإثناء ثار أهل تونس على بشرى وكاتبوا أبا يزيد يطلبون الأمان فأمنهم وولى عليهم، ثم مضى نحو القيروان، فنزل بموضع قريب منها يقال له رقادة في مائة ألف جندي[15].

وصل يزيد القيروان فحاصر بها خليلا بن إسحاق مدة، ثم فاوضه في الصلح فدخل القيروان في صفر سنة 333هـ/943م واستباحها وقتل خليلا وأمن شيوخها ورفع النهب عنهم بعد التقريع والعتب وعلى شرط قتال أولياء الشيعة[16].

حاول ميسور إنقاذ القيروان فزحف على رأس قوات من المهدية أكثرها من بني كملان الهواريين (سكان أهل القيروان) وأثناء هذا الزحف فرّ عنه بنو كملان وانضموا إلى أبي يزيد وشجعوه على لقاء ميسور فزحف بهم إليه والتقى الطرفان عند مكان يقال الأخوان دارت بينهما معركة استمات فيها أبو يزيد وأصحابه النكار فانهزم ميسور وقتله بنو كملان وأرسل رأسه إلى القيروان ثم إلى المغرب.[17]

المرحلة الثانية:

قويت شوكة أبي يزيد بمن انضم إليه من قبائل هوارة ومالكية القيروان فاتجه ببصره إلى المدن الأخرى، فأرسل سرية من رجاله إلى سوسة شمال شرق القيروان فدخلوها عنوة " وقتلوا الرجال وسبوا النساء واحرقوها وشقوا فروج النساء وبقروا البطون، حتى لم يبق موضع في إفريقية معمور ولا سقف مرفوع ومضى جميع من بقي إلى القيروان حفاة عراة ومن خلص من السبي مات جوعا وعطشا[18].

بعد سقوط سوسة أصبحت المهدية العاصمة مهددة، ولم يستطع القائم فعل شيء فخندق حول المهدية، وكتب إلى زيري بن مناد شيخ

صنهاجة وإلى شيوخ كتامة والقبائل الأخرى يحثهم على الاجتماع بالمهدية للدفاع عنها[19].

سمع أبو يزيد بتأهب صنهاجة وكتامة وغيرها من القبائل لنجدة القائم فرحل عن القيروان على خمسة عشر ميلا منها، فأرسل سرايا إلى نواحي المهدية، أتت على الأخضر واليابس " انتهبت ما وجدت وقتلت من أصابت "[20].

أراد القائم آن ينتهز فرصة تفرق جيوش أبي يزيد في السلب والنهب فأرسل إليه جيوشه والتقت به عند وادي الملح فبدرها أبو يزيد ولم يرد ملاحقتها بل فظل أن يستجمع قواته لاقتحام المهدية نفسها، فأرسل إلى ابنه الفضل في القيروان يطلب المدد فوصله على جناح السرعة على رأس قوات من القيروان، وأخذ مكانه على بعد ستة أميال من المهدية (ترنوط) ومنها حاول عدة مرات غزو المهدية.[21]

ففي المرة الأولى اقتحم أبو يزيد البحر واجتاز سور المدينة ووقف على المصلى وأصبح بينه وبين المهدية رمية سهم، لكن انشغال أصحاب أبي يزيد بالغنائم واستبسال كتامة وصنهاجة في الدفاع عن المهدية أدى إلى تحول خطير في الموقف، فقد فشل في اقتحام المدينة، بل وكاد أن يقتل هو نفسه لولا أن أحد أصحابه هدّم حائطا فخرج منه[22].

بعد الهزيمة رحل أبو يزيد إلى ترنوط وخندق حولها، وأرسل إلى نفوسة والزاب وأقاصي المغرب يطلب المدد فلما وصلته الإمدادات عاد إلى المهدية فحاصرها للمرة الثانية واقتحم بنفسه حتى وصل باب المهدية وكاد أن يقتل أيضا لولا أن خلصه أحد أصحابه، [23] وعاد

يائسا فأرسل إلى واليه على القيروان يأمره بإرسال قوة من أهلها فأنجده بسرعة فكرر المحاولة للمرة الثالثة، لكنه هزم وقتل كثير من أصحابه.[24] وفي أخر شوال سنة 333هـ/ قام بمحاولته الرابعة وشدّد الخناق عليها حتى أكل الناس الدواب والميتة، وخرج من بها من العامة والتجار، ولم يبق بها إلا الجند[25].

اشتد البلاء على القائم، فأمر كتامة بمهاجمة قسنطينة أهم مدن إفريقية وأكثرها حصانة ومنعة، فاضطر لذلك أبو اليزيد أن يرسل جزءا من جيشه من ورفجومة وغيرها، هزم به كتامة وحال دون سقوط قسنطينة.[26] لكنه من ناحية أخرى لم يحل دون تفرق جيوشه عنه، فقد فارقه الاباضية الوهبية والمالكية ولم يبق معه سوى أهل الأوراس (زناتة وهوارة) وبني كملان.[27] بعد هذه المقاطعة طلب أبو يزيد الإمداد من نكار الأوراس فحين وصله ضرب الحصار على المهدية من جديد، فاضطر الكثير من أهلها للرحيل إلى صقلية ومصر وطرابلس وبلاد الروم.[28] وكادت المهدية تسقط في أيدي أبي يزيد لولا استبسال فرسان كتامة في الدفاع عنها فقد تخير الكتاميون منهم مائتي فارس وحملوا حملة رجل واحد على أصحاب أبي يزيد فقتلوا منهم كثيرا وأسروا عددا مماثلا وكادوا يصلون إلى أبي يزيد.[29] وفي هذا الوقت الحرج، تغادر جماعة أخرى أبا يزيد(خوفا منه لعداوة كانت بينه وبينهم) وتنظم إلى القائم ولم يصمد معه إلا هوارة أوراس وإفريقية(بني كملان) [30].

المرحلة الثالثة:

فشل أبو يزيد في اقتحام المهدية بعد حصار دام فترة طويلة، وفارقه بعض أنصاره من الاباضية الوهبية ومالكية القيروان ولم يبق معه سوى قبيلة هوارة كما سبق القول.وقد اختلف المؤرخون حول أسباب تصدع هذه الرابطة بينه وبين أهل القيروان فيردها البعض إلى غدر أبي يزيد بالقيروانيين وتركهم هدفا لسيوف الشيعة خوفا من منافستهم له وظفرهم بالسلطة دونه – عندما أصبح سقوط المهدية قريبا – بينما يردها البعض الأخر إلى طول الحصار ويأسهم من افتتاح المهدية وانتهاء الأسلاب والغنائم التي كانوا قد تعودوها، فلما لم يبق ما ينهب أو يسلب تفرقوا عنه وتركوه مع قبيلة هوارة يواجه جيوش القائم.

ومهما يكن فقد اضطر أبو يزيد لترك معسكره غنيمة لجيوش القائم ويمّم وجهه شطر القيروان فوصلها في صفر 334هـ فوجدها قد ارتدت، كما ارتدت معظم المدن الإفريقية الأخرى كتونس وباجة ودخلت في طاعة القائم[31].

كان على أبي يزيد أمام هذه الوضعية الجديدة أن يعمل كل ما في وسعه لاسترداد نفوذه فزحف أولا إلى على تونس في صفر 334هـ، فاستردها، ثم سرعان ما فقدها بعد هزيمة اصطفورة، واستعادها ابنه أيوب ثانية، كما استعاد باجة وأحرقها[32].

بعد تفاقم الوضع واستفحال خطر أبي يزيد من جديد، استعان القائم بعامله على المسيلة علي بن حمدون لنجدة باجة، واتجه هو إلى تونس فنجح في طرد أبي يزيد عنها إلى القيروان[33].

وصل علي بن حمدون، فاعترضه أيوب عند باجة فهزمه وفَر إلى بلطة حيث لقيه أيوب مرة أخرى، فكان النصر في البداية سجالا، وأخيرا تمكن أيوب من هزيمة علي بن حمدون الذي فّر إلى بلاد كتامة، حيث كتب إلى قبائل كتامة ونفزة ومزاتة وغيره للاجتماع حول قسنطينة ووجه هو عسكرا إلى هوارة (وهي الساعد الأيمن لأبي يزيد) فوطأها وغنم أموالها.وأثناء حصار هوارة بلغ الخبر أبا يزيد فسير إليهم جيوشا عظيمة يتبع بعضها بعضا فدارت بينهما حروب كثيرة كان النصر فيها كلها لعلي بن حمدون[34].

بعد هذه الهزائم التي حلت بجيوش أبي يزيد، صمم على الثأر لكرامته، فأعد جيشا ضخما بلغ 80 ألف نسمة مزودا بآلات الحصار والمنجنيقات واتجه نحو سوسة في جمادي الأخرة سنة 334هـ وضرب عنها الحصار فقتل من أهلها خلقا كثيرا وأثناء الحصار توفي القائم وتولى ابنه المنصور، وكتم خبر موت أبيه وأرسل جيشا وأسطولا بقيادة رشيق ويعقوب إلى سوسة فوجد أبا يزيد قد أعد العدة لإحراق السور وتدمير المدينة، فاشتدت الحرب بينهما، فأشعل رشيق النيران - في الحطب التي جمعها أبو يزيد- فاضطرب جيش أبي زيد وانهزم وفّر هاربا إلى القيروان[35].

دخل أبو يزيد القيروان، فوجد أهلها قد ثاروا عليه ومنعوه من الدخول، فاضطر أن يرحل عنها مع زوجته (أم يعقوب) وأصحابه إلى سبيبة وهي على مسافة يومين من القيروان[36].

قدم المنصور إلى القيروان فأمن أهلها، وشكرهم، وأخذ ما وجده من حرم أبي يزيد وعياله وسيرهم إلى المهدية[37].بينما سير جيشا إلى أبي يزيد الذي كان قد جمع جمعا آخر قرب القيروان، فدارت بينهما

حروب، تمكن خلالها أبو يزيد من إلحاق عدة هزائم بجيوش القائم، وقطع الاتصال بين المهدية وسوسة والقيروان، وأرسل إلى المنصور يطلب منه تسليم أولاده وعياله ويعلن دخوله تحت طاعته، فكان له ما أراد، غير أنه تراجع في الحال وقال إنما وجههم خوفا مني[38].

أخلف أبو يزيد وعده، فخرج إليه المنصور بنفسه "فجري بينهم قتال ما سُمع بمثله" انهزم فيه أبو زيد وقتل من أصحابه ما لا يحصى، فقد بلغ حسب رواية ابن الاثير ما أخذه أطفال أهل القيروان من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس[39]. بعد هذه الهزيمة اتجه أبو يزيد إلى تاه مديت وصمم المنصور على القضاء عليه نهائيا فسار في إثره فوجده قد اتجه إلى باغية وحاصرها وعلى وشك أن يفتحها، فلما قرب منه هرب فكان كلما قصد موضعا سبقه إليه المنصور، أخيرا قرر الفرار إلى بلاده السودان فأبت عليه هوارة، فاتجه إلى جبل كتامة وعجيسة فتحصن بها[40]. ولحقه المنصور فشدد الحصار عليه واشتد القتال بينهما حتى ظن الناس أنه الفناء، فاعتصم أبو يزيد بقلعة كتامة، وتخلف عنه هوارة ومن مع أبي يزيد فطلبوا الأمان فأمنهم المنصور وسار إلى القلعة وأضرم فيها النيران، وحاول أبو يزيد الهروب فوقع أسيرا ومات متأثرا بجراحه في المحرم سنة 366هـ[41].

وعلى الرغم من انتهاء ثورة أبي يزيد فإن هوارة أوراس لم تخضع للحكم الفاطمي، وثارت مع ولده أيوب، وبعد مقتل أيوب بن أبي يزيد ظلت على ثورتها إلى أن جهز لها المعز جيشا قويا بقيادة بلكين بن زيري فهزم جموعها عند سفح غزالة قرب باغاية وشتّتها في بلاد الزاب وبلغت فلولها أرض السودان[42].

الهـوامـش

هوامش الفصل الأول:

1. الطاهر احمد الزاوي تاريخ الفتح العربي في ليبيا ط2 دار المعارف مصر 1963 ص 16

2. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر مج6، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1968 ص192 والبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان 1 مكتبة النهضة المصرية ص265

3. إبن خلدون المصدر السابق 6 ص192

4. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، المصدر السابق مج6 ص 282.

5. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، المصدر السابق مج6 ص 282.

6. ابن رستة: الأعلاق النفيسة 7، مطبعة بريل ليدن، 1891 ص246.

7. التيجاني: الرحلة ص 216.

8. المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن علي ت 346 هـ (957- 958م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 2 بيروت. ص 96.

9. عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب 1، 1962 ص 314.

10. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان ، المصدر السابق مج6 ص ص 283، 284 وابن منصور المرجع السابق 1 ص ص 314، 316.

11. البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز:المغرب في وصف بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ط2 الجزائر 1911 ص 144.

12. ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد: ت 456هـ(1064م): جمهرة أنساب العرب: تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر 1962. ص 446.

13. ابن خلدون: المصدر ص284، ص 288. ومبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزائر 1976 ص 597.

14. دائرة المعارف الاسلامية: ص305

15. نفس المصدر والصفحة

16. نفس المصدر والصفحة

17. نفس المصدر ص306

18. ابن خلدون: العبر 6 ص 9

19. دائرة المعارف الإسلامية ص 603 ابن خلدون العبر 6 ص 290.

20. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.

21. نفس المصدر ص 306، ابن خلدون: العبر 6 290.

22. الرحلة: التيجاني ص 412 وما بعدها

23. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.

24. نفس المصدر والصفحة.

25. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.

26. نفس المصدر والصفحة.

27. نفس المصدر والصفحة.

28. نفس المصدر 305.

29. ابن خلدون: العبر 6 ص 291 ، ص 292.

30. دائرة المعارف الإسلامية 305.

31. محمد إسماعيل: المرجع السابق ص 210.

32. دائرة المعارف الإسلامية ص: 306.

33. نفس المصدر والصفحة.

34. نفس المصدر والصفحة.

35. نفس المصدر والصفحة.

36. نفس المصدر والصفحة.

37. نفس المصدر والصفحة.

38. نفس المصدر والصفحة.

39. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.

40. نفس المصدر والصفحة.

41. نفس المصدر والصفحة.

42. نفس المصدر والصفحة.

43. نفس المصدر والصفحة.

44. نفس المصدر والصفحة.

45. ابن خلدون: العبر6 ص 288.

46. الكعاك : موجز تاريخ الجزائر العام مكتبة العرب تونس 1344هـ ص 448.

47. محمد الثابت الفندي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية مج 3، ص 123.

48. الجيلالي عبد الرحمان: الاصالة عدد خاص بالملتقى 12 باتنة ص 105.

49. البكري: المصدر السابق 144.

50. الميلي: المرجع السابق 521.

51. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 235

52. محمد إسماعيل: المرجع السابق ص 121.

53. نفسه ص 130.

54. ابن خلدون: المصدر السابق ص 293.

55. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.

56. نفس المصدر والصفحة

57. ابن خلدون: المصدر السابق ص 204.

58. ابن منصور: قبائل المغرب ج1 ص 317.

59. دائرة المعارف الإسلامية ص307.

60. ابن منصور: المرجع السابق ص 317.

61. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.

62. البكري: المغرب في وصف بلاد إفريقية والمغرب ص59.

63. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.

64. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.

65. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.

66. نفس المصدر ص 308.

67. نفس المصدر والصفحة

68. نفس المصدر والصفحة

69. نفس المصدر والصفحة

70. نفس المصدر والصفحة

71. نفس المصدر والصفحة

72. نفس المصدر والصفحة

73. نفس المصدر والصفحة

74. نفس المصدر والصفحة

75. نفس المصدر والصفحة

76. نفس المصدر والصفحة

77. دائرة المعارف الإسلامية ص 308.

78. نفس المصدر و الصفحة.

79. ابن حزم: الجمهرة ص 500.

80. دائرة المعارف الإسلامية ص 308.

81. نفس المصدر و الصفحة

82. ابن خلدون: العبر 7 ص 10، المقريزي: البيان والإعراب ص134.

83. القلقشندى: نهاية الإرب ص 441.

84. المقريزي: المصدر السابق 131.

85. القلقشندى: المصدر السابق ص 242.

86. المقريزي: المصدر السابق ص 136

87. المقريزي: المصدر السابق ص 136 وما بعدها.

هوامش الفصل الثاني:

1. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب- مكتبة الآداب بالجماميز 1947 ص 50
2. نفسه ص 50، لقبال موسى: المرجع السابق ص 76.
3. ابن خلدون المصدر السابق ص 220.
4. نفسه: ص ص 220، 286.
5. محمد علي دبوز:المرجع السابق جـ3 ص508.
6. نفسه: ص 509.
7. ابن خلدون: العبر6 ص ص 286، 287.
8. نفسه: ص287.
9. نفسه: ص287.
10. عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم ط1 دار صادر بيروت ص 497.
11. ابن خلدون: العبر ص 290.
12. التيجاني: الرحلة ص 214.
13. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
14. ابن حوقل النصيبي: أبو القاسم محمد: كتاب صورة الأرض ط2 بريل ليدن 1967م ص86. البكري: المصدر السابق ص60. الإدريسي: المصدر السابق ص 59.

15. المقريزي: البيان والإعراب ص 154.

16. احمد صفر:مدنية المغرب العربي في التاريخ ج1 ط1 بوسلامة تونس ص ص388 389.

17. ناصر سعدوني: الاصالة عدد خاص بالملتقى 12 باتنة ص 138.

18. عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم ط1 بيروت 1971 ص497.

19. نفسه: ص 331.

20. محمد علي دبوز: المرجع السابق ج3 ص 348.

21. نفسه: ص347.

22. نفسه: ص ص 347، 348.

23. محمد علي دبوز: المرجع السابق ص 493 نقلا عن الإدريسي:نزهة المشتاق دار الكتب.

24. ابن خلدون:العبر 6 ص 287.

25. التيجاني : الرحلة ص 216.

هوامش الفصل الثالث:

1. لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ط1 ، مطبعة البعث 1969 ص211.

2. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 222.

3. محمود إسماعيل: المرجع السابق، 53، ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح إفريقيا والأندلس، دار الكتاب اللبناني 1964 ص96.

4. ابن عبد الحكم: المصدر السابق97.

5. نفسه، 97 .

6. ابن عبد الحكم: المصدر السابق101.

7. نفس المصدر والصفحة

8. نفسه ص ص101 ، 102.

9. نفسه 102.

10. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 102.

11. محمود إسماعيل: المرجع السابق 54.

12. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير 2، دار إحياء الكتب العربية 1962 ص283.

13. لقبال موسى: المغرب الإسلامي، 221، 222

14. لقبال : المرجع السابق 222.

15. دبوز: المرجع السابق 2، 285.

16. دبوز: المرجع السابق 2، 286.

17. دبوز:المرجع السابق2- 286، 287.

18. دبوز:المرجع السابق2- 287.

19. دبوز"المرجع السابق2- 288.

20. ابن خلدون:المصدر السابق6. دبوز: المرجع السابق2- 288.

21. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 103.

22. دبوز: المرجع السابق2- ص288 نقلا عن النويري.

23. دبوز: المرجع السابق 2- ص289 نقلا عن النويري.

24. ابن خلدون: المصدر السابق6- ص223.

25. لقبال: المرجع السابق. ص223 وما بعدها

26. محمود إسماعيل: المرجع السابق 80.

27. محمود إسماعيل: المرجع السابق 79، 80.

28. لقبال: المرجع السابق 231.

29. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 106.

30. ابن خلدون: المصدر السابق 6، 223 .

31. لقبال : المرجع السابق 232، وابن عبد الحكم : المصدر السابق 106

32. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 107.

33. نفس المصدر والصفحة.

34. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 107.

35. نفسه: 108.

36. نفس المصدر والصفحة.

37. محمود إسماعيل: المرجع السابق 63.

38. نفسه: 64.

هوامش الفصل الرابع

1. أحمد الزاوي: المرجع السابق ص 122.

2. أبو زكرياء: يحيى بن أبي بكر ت741هـ، سير الأئمة وأخبارهم، المكتبة الوطنية 1979 ص37.

3. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 38.

4. نفسه: ص 37.

5. دبوز: المرجع السابق ج 3 ص221.

6. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 65.

7. ابن الاثير: الكامل 4، ص 281.

8. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 38.

9. ابن الاثير: الكامل 4، ص 281.

10. ابن خلدون: المصدر السابق6، ص 224.

11. ابن الاثير: الكامل 4، ص 281.

12. ابن الاثير: الكامل4 ص281.

13. أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 135.

14. نفس المرجع والصفحة.

15. دبوز: المرجع السابق3، ص7

16. المرجع السابق ص 8، 9.

17. ابن الاثير:المصدر السابق 4. ص281.

18. ابن الاثير: المصدر السابق 4، 281.

19. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 44.

20. ابن الاثير: المصدر السابق4، ص 281.

21. ابن الاثير: المصدر السابق 4، ص281 ، أبو زكرياء: المصدر السابق ص441 .

22. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 45، ابن الاثير: المصدر السابق ص 281، دبوز: المرجع السباق 3 ص 18.

23. ابن الاثير: المصدر السابق 4، ص 81، دبوز: المرجع السابق 3 ص 18.

24. دبوز: المرجع السابق 3 ص 240.

25. ابن الأثير: المصدر السابق 4.ص281.

26. نفس المصدر و الصفحة.

27. نفسه ص 281.

28. دبوز: المرجع السابق ص 139 .

29. ابن خلدون: المصدر السابق 6. ص 266.

30. محمود اسماعيل: المرجع السابق ص 66.والبلاذري: المصدر السابق 1 ص 275.

31. أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص48.

32. دبوز: المرجع السابق 3 ص 58

33. لقبال: المرجع السابق 236 . ودبوز: المرجع السابق 3 ، 59 .

34. محمود اسماعيل: المرجع السابق 67 . دبوز: المرجع السابق 59.

35. دبوز: المرجع السابق 61 .

36. ابن خلدون: المصدر السابق 6 .226

37. لقبال: المرجع السابق 237 .

38. محمود إسماعيل: المرجع السابق 68.

39. دبوز: المرجع السابق 3 ص 65 نقلا عن النويري .

40. نفس المرجع والصفحة. عن النويري .

41. محمود إسماعيل: المرجع السابق: 68، ودبوز :المرجع السابق 68

42. البلاذري: المصدر السابق 1 ، 275 .

43. دبوز: المرجع السابق 3 ،68 .

44. لقبال: المرجع السابق 238 .ودبوز : المرجع السابق 69.

45. لقبال: المرجع السابق 238 ،239 . ودبوز: المرجع السابق 69 ،70

46. لقبال: المرجع السابق 239 ،دبوز،المرجع السابق 70، 71.

47. أبو زكرياء :سير الأئمة وأخبارهم ص52، لقبال: المرجع السابق239.

48. محمود إسماعيل: المرجع السابق68، دبوز: المرجع السابق 74.

49. محمود إسماعيل: المرجع السابق 69 ، دبوز: المرجع السابق 74.

50. محمود إسماعيل:المرجع السابق 69، دبوز: المرجع السابق 75.

51. لقبال: المرجع السابق 239 ، محمود إسماعيل: المرجع السابق 69 ، دبوز: المرجع السابق 75.

52. لقبال المرجع السابق 239، محمود إسماعيل: المرجع السابق 69، دبوز: المرجع السابق 76.

- (لما قرب يزيد بن حاتم من طرابلس خرج إليه أبو حاتم ومن تبعه من المسلمين إلى موضع يقال له جنى، فمدت قبيلة من البربر من هوارة يقال لها مليلة يزيد بن حاتم، فسأل أبو حاتم عمن أعانه عليه من البربر، ومن كان مع يزيد، فقالوا له ليس معه خلا مليلة، فقال أبو حاتم، اللهم ذل مليلة، فبلغت فيهم دعوة أبي حاتم، فاستجاب الله فيهم وكذلك كانوا بين سائر البربر) أنظر سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا ص 52.

53. لقبال :المرجع السابق240 ، محمود إسماعيل، المرجع السابق 69.

54. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 286، محمود إسماعيل، المرجع السابق ص 69، 70.

55. لقبال :المرجع السابق 241 .

56. نفس المرجع والصفحة .

هوامش الفصل الخامس:

1. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب ص 109.
2. المرجع السابق، ص110،109.
3. محمود إسماعبيل: المرجع السابق ص 110، دبوز: المرجع السابق ص261.
4. دبوز: المرجع السابق ص267.
5. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 111 دبوز: المرجع السابق ص 287، 288.
6. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
7. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
8. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي ص 126.
9. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
10. لقبال: دوركتامه ص 76، دبوز: المرجع السابق ص 518.
11. دبوز: المرجع السابق ص 366.
12. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 121.
13. دبوز: المرجع السابق ص 231، نقلا عن ابن الصغير.
14. محمود إسماعيل : المرجع السابق ص 121.
15. دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية) ص307.
16. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 130.

17. نفسه ص 128.

18. نفسه ص 129.

19. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 128.

20. نفسه ص 128.

21. نفسه ص 130.

22. نفسه ص 129، 130.

23. نفسه ص 130.

24. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 130.

25. نفسه: ص 130.

26. دبوز: المرجع السابق ص 584.

27. أحمد الزاوي: المرجع السابق ص 152.

28. دبوز: المرجع السابق ص 510.

29. ابن خلدون: العبر 6 ص 286، دبوز: المرجع السابق ص 512.

30. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 143.

31. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 143، 144.

هوامش الفصل السادس:

1. إسماعيل: المرجع السابق 176.
2. نفس المرجع والصفحة .
3. ابن خلدون: العبر 6 ص 287 .
4. أحمد الزاوي: المرجع السابق 184 .
5. نفس المرجع والصفحة .
6. أحمد الزاوي: المرجع السابق 184.
7. نفسه: 184، 185.
8. ابن خلدون: العبر 7 ص 28.
9. نفس المصدر والصفحة
10. ابن خلدون: المصدر السابق ص 28.
11. أبو زكرياء: السير ص 117.
12. ابن خلدون: العبر7 ص 28.
13. نفس المصدر والصفحة.
14. ابن الاثير: الكامل 6 ص 303.
15. نفسه: ص 304.
16. نفسه: ص 304.
17. نفسه: ص 304.

18. نفسه: ص304.

19. ابن الاثير: الكامل6 ص305.

20. نفسه: ص 305.

21. نفسه: ص305، محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 183.

22. ابن الاثير: المصدر السابق ص 305.

23. نفسه: ص 305.

24. ابن الاثير: الكامل 6 ص 305.

25. نفسه: ص 305.

26. نفسه: ص 306.

27. نفسه: ص 306.

28. نفسه: ص 306.

29. نفسه: ص 306.

30. نفسه: ص 306.

31. ابن الاثير: المصدر السابق ص 306، محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 185.

32. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 185.

33. نفسه: ص 185.

34. ابن الاثير :الكامل 6 ص 308.

35. نفس المصدر والصفحة .

36. نفس المصدر والصفحة .

37. نفس المصدر والصفحة .

38. نفس المصدر ص 309.

39. نفس المصدر ص 309.

40. ابن الاثير : نفس المصدر ص 310 .

41. نفسه ص 311 .

42. الميلي: المرجع السابق ص 521.

الخاتمة

لقد حاولت أن القي بعض الأضواء على هذه القبيلة من القبائل المغربية البربرية العتيدة، وتحملت من أجل ذلك الكثير من الصعوبات والمشاق، تعود في مجملها إلى قلة المراجع، وصعوبة التنقل إليها.

وإن لم أحقّق كل ما أصبو إليه، فقد حققت على الأقل احد أهداف البحث العلمي التاريخي (شيء متفرق فجمعته) وقد لا يخلو عملي هذا من بعض النقائص، وأني أعترف أن هناك نقاطا أخرى جديرة بالبحث ولكن قلة المراجع، وصعوبة التنقل، وظروف العمل جعلت عملي يتم في شكله هذا ، وكلما ارجوه أن أكون قد وضعت بعملي هذا لبنة جديدة تضاف إلى ما كتب حول القبيلة.

والله ولي التوفيق

الملاحــق

1- حــول أصل البربر/

وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية، فقد اختلف النسّابون في ذلك اختلافا كبيرا وبحثوا فيه طويلا، فقال بعضهم: أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه، وقال آخرون: البربر يمنيون، وقالوا أوزاع من اليمن، وقال المسعودي بن غسان وغيرهم تفرقوا عندما كان سيل العرم. وقيل: تخلفهم أبرهة ذو المنار بالمغرب، وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر من النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد.... واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة عن الصواب فأما القول بأنهم من ولد إبراهيم فبعيد.... وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق، وإنهم نقلوا من ديار الشام فانتقلوا فقول ساقط، يكاد يكون من أحاديث خرافة... وأما القول أيضا بأنهم من حمير من ولد النعمان أو من مضر من ولد قيس بن عيلان فمنكر من القول وقد أبطله إمام النسّابين والعلماء أبو محمد بن حزم...

والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأن اسم أبيهم مازيغ... فلا يقعن في وهمك غير هذا... وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب... مثل هوارة يزعمون أنهم من كنده من السكاسك... والحق الذي شهد

به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمة نسابة العرب في صنهاجة وكتامة، وعندي أنهم من إخوانهم والله أعلم.(1)

2. بعض البطون البربرية التي لحقت بهوارة نتيجة المصاهرة:

وأما شعوب البتر، وهم بنو مادغيس الأبتر فيجمعهم أربعة أجذام، أدّاسة، ونفوسة وضرية وبنو لوا الأكبر وكلهم بنو زحّيك ابن مادغيس، فأما أدّاسة بنو أداس بن زحّيك فبطونهم كلها في هوارة، لأن أم أدّاس تزوجها بعد زحّيك أوريغ ابن عمه بُرنس والد هوارة، فكان أدّاس أخا لهوارة ، ودخل نسب بنيه كلهم في هوارة وهم سفارة واندارة وهنزولة وضرية وهداغة واوطيطة وترهتة، هؤلاء كلهم بنو أدّاس بن زحّيك ابن ماذغيس. وهم اليوم في هوارة(2).

3. حول انتشار الفكر الخارجي وأثر ذلك على استقرار المنطقة:

... وذكر أبو محمد بن أبي يزيد: أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس بعد أن دوّخ المغرب وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر وأمرائهم برسم الجهاد، فاستقروا هنالك من لدن الفتح فحينئذ استقر الإسلام في المغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمات الإسلام وتناسوا الردة.

---

(1) ابن خلدون: العبر 6، ص181-192.
(2) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر مج 6 ص 178 ص 179.

ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقّنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق وتعددت طوائفهم و تشعبت طرقها من الاباضية والصفرية...

وفشت هذه البدعة واعقدها رؤوس النفاق من العرب وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة إلى الانتزاء على الأمر فاختلوا في كل جهة ودعوا إلى قائدهم طغام البربر تتلون(يتلون) عليهم مذاهب كفرها، ويلبسون الحق بالباطل فيها إلى أن رسخت فيهم كلمات منها، ووشجت بينهم عروق من غرائسها، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمراء العرب...[1]

4- حول انتفاضة هوارة إفريقية وما لحقها من خسائر: [2]

... وبلغ الخبر إلى هشام ابن عبد الملك بعث حنظلة ابن سفيان الكلبي، فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائه وهوارة يومئذ خوارج على الدولة، منهم: عكاشة ابن أيوب وعبد الواحد ابن يزيد في قومها. فثارت هوارة ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة ابن المعز بظاهر القيروان بعد قتال شديد، وقُتل عبد الواحد الهواري وأخذ عكاشة أسيراً، وأحصيت القتلى في هذه الوقيعة فكانوا مائه وثمانين ألفا. وكتب بذلك حنظلة إلى هشام وسمعها ابن الليث فقال: ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إليّ من غزوة القرن والأصنام.[2]

(1) ابن خلدون: المصدر نفســـه ص ص 221 220.
(2) ابن خلدون: المصدر نفســـه ص ص 222،223.

فهرس المصادر والمراجع

01- أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ- ج1 دار النشر بوسلامة تونس.

02- إحسان عباس: العرب في صقلية- دار المعارف مصر 1959م.

03- الإدريسي: أبو عبد الله محمد ت 560هـ - 1164م، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية قطعة مأخوذة من نزهة المشتاق، نشرها هنري بريس الجزائر 1957م.

04- البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ - 1094م، المغرب في وصف افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك نشرة البارون دوسلان ط 2 الجزائر 1911م.

05- التجاني: الرحلة(706هـ - 707هـ)

06- الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية تونس.

07- ابن حزم الظاهري: أبو محمد علي بن أحمد ت465هـ - 1064م: جمهرة أنساب العرب تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون – دار المعارف مصر 1962م.

08- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز مصر 1947م.

09- ابن حوقل النصيبي: أبو القاسم محمد ت بعد 367هـ - 977م: كتاب صورة الأرض ط 2 مطبعة بريل ليدن 1967م.

10- ابن خلدون: أبو يزيد عبد الرحمان ت 808هـ- 1405م، كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر 6،7 دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1959م.

11- ابن رسته ت بعد 290هـ- 903م، الاعلاق النفيسة 7 مطبعة بريل ليدن 1891م.

12- الزاوي أحمد الطاهر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ط2 دار المعارف القاهرة 1963م.

13- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب جـ 1 الرباط 1962م.

14- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام جـ1 ط3 1971م. الاصالة عدد خاص، الملتقى12 للفكر الإسلامي، باتنة.

15- عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم ط1 دار صادر بيروت.

16- ابن عذارى: أبو عبدالله محمد المراكشي، من علماء نهاية القرن7هـ - 13م، البيان المغرّب في أخبار المغرب، تحقيق ج.س.إ. ليفي بروفنسال 1 ، 2 دار الثقافة بيروت.

17- ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل ت133هـ/1720-1721م: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار المسمى تاريخ طرابلس الغرب، تحيق ونشر الطاهر احمد الزاوي، القاهرة 1930م.

18- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي 821هـ - 1418م: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تخحيق ونشر إبراهيم الأبياري ط1

القاهرة 1959م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج4 دار الكتب 1915م.

19- الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر مكتبة العرب تونس 1344هـ، موجز تاريخ البربر ط1 1956م.

20- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية الجزائر 1977م.

21- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب أرسلان مج2 دار الفكر بيروت 1994م.

22- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي الجزائر 1976م.

23- محمد ثابت الفندي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية مج3.

24- محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين ط1 1964م.

25- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير 1،2،3 دار إحياء الكتب العربية 1964م.

26- محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت 1976م.

27- محمود خطاب شتيت: قادة فتح المغرب العربي ج1 ط1 بيروت 1966م.

28- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ - 1442م: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحيق ونشر عبد المجيد عابدين ط1 القاهرة 1961م.

29- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت346هـ/ 957م- 958م، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج2 بيروت.

30- الاسطخري: كتاب المسالك والممالك.

31- ناصر الدين سعيدوني: الاصالة عدد خاص بالملتقى 12 للفكر الإسلامي باتنة.

32- دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية) طبعة حديثة ج3.

محتـــويات الكتـــاب